جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة و أدب عربي

دراسات نقدية

نقد حديث ومعاصر

رقم : ن11

إعداد الطالب:

حنان صيد

يوم :2019/06/22

التراث في قصة حياة البدو الرحل لـــ: عبد القادر خالدي

لجنة المناقشة:

غنية بوضياف	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
نصيرة زوزو	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
عبد الرزاق بن دحمان	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

من كان في نعمة ولم يشكر الله عليها خرج منها دونما يشعر.

ولذلك أتوجه إلى المولى عز وجل بالحمد والشكر

على هديه إلى طريق العلم وتوفيقه وتيسيره

سبيل الخروج بهذا البحث.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من لا يشكر الناس لم يشكر الله"

ومن هذا المنطق واعترافا بالجميل أتقدم بالشكر والامتنان

للأستاذة الدكتورة" نصيرة زوزو" التي شرفتني بإشرافها على هذا البحث، والتي أنارت لي الدرب

وأزالت الغموض وكانت لي عونا من خلال توجيهاتها ونصائحها

فجزاها الله عني خير الجزاء .

ثم الشكر والثناء أجله إلى أعضاء لجنة المناقشة

على تفضلهم بمناقشة هذا العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الذين ساهموا في تكويننا

وتوجيهنا طيلة سنوات الدراسة .

والشكر للقائمين على دار الثقافة "ابن رشد" الجلفة

و للأستاذ خالد مبخوتي من جامعة محمد بوضياف الجلفة

وإلى كل من ساعد ولو بكلمة

وأسأل الله عز وجل أن يجعلها في ميزان حسناتهم.

مقدمة

تُستَقى الأعمال الأدبية من التجربة الإنسانية، يرافقها المكون الثقافي النابع من عمق التراث والذي أصبحت العودة إليه واستنطاقه والكتابة من خلاله سمة بارزة في الأعمال الأدبية والفنية؛ تحقيقًا للأصالة والسعي إلى إعادة قراءة التراث في ضوء حداثة العالمين الأدبي والنقدي.

والتراث هو ذلك المخزون الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني النّافذ للأبعاد الزمنية الثلاث في علاقة من التأثير والتأثر بين مختلف الأجيال، ليدركه الأديب ويبثه في كتاباته فيخلق خطابًا جديدًا ينهض من خلال الموروث الماضي، ويتمثل منسجمًا والإنتاجية الإبداعية للكاتب.

وتكمن أهمية هذا البحث في قراءة لأشكال إبداعية تراثية شعبية حملها إلينا الكاتب الجزائري **عبد القادر خالدي** في قصة **حياة البدو الرحل**، لنتعرف على ثقافة مجتمع كان له الدور الفعّال في خلق الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري وتثبيتها.

وقد تكاتفت أسبابٌ ذاتية وموضوعية لتخيُّر هذا الموضوع وهي:

الأسباب الذاتية:

-التعريف بثقافة أولاد نائل واختيارها حيزًا للدراسة؛ لأنني ابنة النوائل مدركة للهجتهم وعاداتهم وتقاليدهم وفنونهم ومعتقداتهم، مما سهل فهم ما حملته المدونة من مدلولات وفك رموزها وإبانتها للمتلقي.

الأسباب الموضوعية:

-موضوع تراث البدو الرحل وثقافتهم تقل فيه الدراسات ووجب التطرق إليه بدراسة جادة.

-توظيف التراث مدار دراسة واهتمام في النقد الأدبي الحديث، وقد عدَّ التراث مصدرًا ومنبعًا أساسًا لمحمولات الأعمال الأدبية.

-قصة حياة البدو الرُّحل مادة دسمة للتحليل و دراسة التراث، بما حملته من رموز، وشخصيات تاريخية، وتوظيف للعادات والتقاليد والمعتقدات.

استيعاب الموضوع وفهمه لا ينضج إلا داخل التساؤل والجواب الحاذقين، ولإدراك الموضوع ومتطلبات أسباب البحث فيه، تتبلور لدينا مجموعة من التساؤلات:

-ما التراث؟ وما مصادره؟

-ما الذي جعل التناص يخدم موضوع توظيف التراث؟

-ما دلالة الشخصيات والرموز الموظفة في قصة حياة البدو الرحل؟

-كيف وظف الكاتب عبد القادر خالدي عناصر التراث الشعبي؟

تُحيل هذه التساؤلات إلى وضع خطة ينتظم بها عقد هذا البحث تكونت من مدخل وفصلين تطبيقيين، وهي كالآتي:

-مدخل موسوم بـــ: " **التراث مفهومه ومصادره** " وتم فيه وضع الحد اللغوي والاصطلاحي للتراث، مع إضاءة حول المصادر التي ينهل منها الكاتب مادته التراثية.

-الفصل الأول معنون بـــ: " **التناص ودلالة الشخصيات والرموز في قصة حياة البدو الرحل** " وضم تحديد مفهوم التناص وحضوره في قصة البدو الرحل، لنبلغ عنصر توظيف الشخصيات التاريخية والرموز ودلالتهما.

-الفصل الثاني موسوم بـــ: "**توظيف التراث الشعبي في قصة حياة البدو الرحل**" وتم فيه دراسة توظيف الأمثال الشعبية، والعادات والتقاليد، والمعتقدات والفنون الشعبية في القصة الموضوع دراسة.

-وخُتِمَ البحث بخاتمة حملت أهم المحطات والنتائج المستخلصة من دراسة التراث في قصة **حياة البدو الرحل**.

وقد استعان هذا البحث بالمنهج الوصفي، إضافة إلى استخدام المنهج السيميائي خلال دراسة الشخصيات والرموز، وكذا المنهج التاريخ والعودة إليه في رصد التراث.

يطل علينا هذا البحث من خلال عصارة مجموعة من المصادر والمراجع كان من أبرزها: كتاب التراث والحداثة لعابد الجابري، وكتاب صور وخصائل من مجتمع أولاد نائل للمباركي بلحاج، وكتاب الخطاب الروائي لميخائيل باختين.

ومن الصعوبات التي اعترضت خوض غمار هذا الموضوع قلة الدراسات حول التراث الشعبي النائلي، مما جعلني أتنقل إلى المنطقة الأصل "الجلفة"، لكن هذا لم يُثْنِ من عزيمتي، فكلما زادت الصعوبات ازددت شغفًا وحماسًا للبحث.

ولا يمكن ختم هذا التقديم دون شكر المولى عزّ وجل الذي أعانني على تتمة هذا البحث دون أن أنسى تلك الروح الطيبة التي أشرفت على هذا البحث، أستاذتي **زوزو نصيرة** التي أرفع لها خالص الشكر والامتنان لما قدمته لي ولبحثي من توجيه ونقد وتشجيع، فقد واكبت بحثي هذا مُذ كان فكرة إلى أن استوي على شكله الحاضر، والشكر للجنة المناقشة التي ستكون ملاحظاتها محل استفادة وتقويم للبحث.

مدخل: التراث: مفهومه، ومصادره، وبواعث توظيفه في السرد العربي

تمهيد

1. مفهوم التراث
2. مصادر التراث
3. بواعث توظيف التراث في السرد العربي

تمهيد

رفضت الذات المبدعة العربية عالمها المغمور بالغموض والضبابية في ظل الصراعات والأزمات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي أصبحت تضيق عليها خناق الإبداع والاستمرارية، وتكبل طموحاتها الساعية نحو النبوغ والجديد.

وفي محاولتها للتخلص من واقعها المرير وحاضرها المشتت، لجأت إلى التراث وجعلت منه وسيلة للتخلص وفك الأغلال التي طوقتها، واتخذت منه وسيلة للعودة إلى ماضيها المزدهر الذي يبعث فيها روح الأمل والتطلع لغد أفضل .

يستمد الأديب من التراث الرؤية والتاريخ والهوية، ويوظفه لتحقيق التواصل بين أزمنته الثلاث والهروب إلى أحضان الماضي من زحام الحداثة بإعادة إحيائه وإضفاء سمة الجِدّة عليه، حيث يدل اللجوء إلى التراث على اتساع الحدقة الأدبية والرؤية الإبداعية.

وقبل الخوض في ثنايا هذا الموضوع كان لزامًا أن نعرّج على تحديد دلالة كلمة " **تراث**"؛ باعتبار أن بيان المصطلح هو المدخل لكل مسألة هي محل بحث.

1- مفهوم التراث:

1-1- الحد اللغوي: التراث في اللغة مشتق من الفعل الثلاثي (وَرَثَ) ومن معانيها "اِلورْثُ والوَرْثُ والإِرْثُ والوِارَثُ والتُّراثُ واحد (...) والوِرْثُ والتُّرَاث والمِيرَاثُ: ماوُرِثَ وقيل: الوِرْثُ والمِيرَاثُ في المال، والإِرْثُ في الحسب(...) والتُّرَاث ما يُخَلِفَهُ الرجل لِوَرَثَتِهِ".[1]

وورد في المعجم الوسيط الفعل (ورث): "وَرِثَ فلانا، ومنه، وعنه وَرِثَ (يَرِثُه) وِرْثًا، ووِرْثًا، وإِرْثًا، ورِثَةً، ووِراثَةً: صار إليه مالُهُ بعد موته، ويقال: وَرِثَ المجدَ وغيرَه، ووَرِثَ أباهُ مالَه ومجدَه: ورِثَه عنه، فهو وارثٌ، والجمع: وَرَثَةٌ ووُرَّاثٌ".

فالتراث هو الأثر الذي يخلفه السلف للخَلَف، ولا يقتصر ذلك على الأفراد بل قد يكون بين المجتمعات والشعوب والحضارات.

وقد وردت لفظة "ورث" في القرآن الكريم في عدة مواضع :

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2]

﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3]

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾[4]

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (مادة ورث)، مج2، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1994، ص199،200.

[2]- النمل/ 16.

[3]- مريم/ 6.

[4]- فاطر/ 32.

حملت دلالات التراث في القرآن الكريم المضمون المعنوي من كل منتقل ومتوارث، ويظهر الله من خلال هذه الآيات إثبات المسؤولية المورثة للنبيين والعلماء وأولي الأمر من تحمل العلم والكتاب، وهذا التوريث الرباني ناموسًا للمداولة بين أهل الحق.

وفي استعمال نادر لكلمة " تراث" في شعر ما قبل الإسلام ما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم:

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ المَجْدْ دِينَا

وَرِثْنَا مُهَلْهِلًا، وَالخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا، نِعْمَ ذُخْرِ الذَّاخِرِينَا

وَعَتَّابًا وكُلْثُومًا جَمِيعًا بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأَكْرَمِينَا .[1]

وكعادة العرب في الجاهلية ومن بين مميزات شعرهم المفاخرة بالمجد والنسب والشرف، وفي أبيات معلقة "عمرو بن كلثوم" نجد (التراث) في ما ورثوه من عَتَّابَ وكلثوم ونيلهم مآثرهم ومفاخرهم.

[1]- عبد الرحمان المصطاوي، شرح المعلقات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص183-188.

1-2- الحد الاصطلاحي:

تنوعت واختلفت المعاني الاصطلاحية للتراث، فمفهوم التراث غير مستقر بصورة دقيقة، إذ تباينت وجهات النظر في تحديده وتعددت دلالاته وتشعبت بين مختلف النقاد و الباحثين كل حسب توجهه ومخزونه الثقافي والعلمي، فهذا محمد عابد الجابري يعرفه قائلاً: "التراث بمعنى الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر ملفوف في بطانة وجدانية أيديولوجية".[1]

فالتراث هو ذلك الموروث الشعبي؛ أي ما تنتجه العامة وتتواضع عليه من ثقافة ودين وأدب وفن تُحمل كلها داخل الخطابات، وتحمل في طياتها منحى أيديولوجيًا ووجدانيًا.

ولعل تعريف **سيد علي إسماعيل** قد ألم بمفهوم التراث حيث يقول:"هو ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد، والمشتمل على القيم الدينية، والتاريخية، والحضارية، والشعبية، لما فيها من عادات وتقاليد سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث العتيقة، أو مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة، أو مكتسبة بمرور الزمن، وبعبارة أكثر وضوحا: إن التراث هو روح الماضي، وروح الحاضر، وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به، وتموت شخصته وهويته إذا ابتعد عنه، أو فقده؛ لذلك نرى الإنسان - العربي بصفة خاصة-

[1]- محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة، (دراسات ومناقشات)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،ط3، 2000، ص23.

يتمسك بتراثه بصورة أو بأخرى، سواء في أقواله أو أفعاله" [1]. فالتراث هو الهوية الحضارية التي تأصل للكيان الإنساني، يمتد في حياتنا وينتقل إلى المستقبل، بخلق جسر تواصل وتفاعل بين الأزمنة الثلاث، بما شهده الماضي، وتحولات الحاضر، واحتمالات المستقبل.

وفي السياق نفسه يري **إدريس قرورة** أن :"التراث شكل أو نمط روحي ممتد عبر حقب زمنية طويلة وللتراث داخل النصوص وقع كبير في نفس المتلقي، "وقد أدركت الفنون و على رأسها الأدب قيمة ذلك، فعملت على إحياء هذا الموروث وتمجيده و تأويله، بل وطرح الأسئلة عليه، و لم ينحصر الأدباء في تراث شعوبهم وأممهم، بل انفتحوا علو موروثات الشعوب المختلفة، إيمانا منهم بإنسانية المتوارث، وأنه ملك للبشرية جميعا".[2]

[1]– سيد علي إسماعيل، أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2017، ص38.

[2]– عز الدين جلاوجي، التراث مصادره و أشكال استلهامه (في الشعر النسوي المعاصر في الجزائر)، مجلة الأثر، جامعة برج بوعريريج، الجزائر، ع24، مارس 2016، ص248.

2- مصادر التراث:

التراث ماض يحي في حاضرنا، وحاضر ينبعث في مستقبلنا، يشبع الأديب نصه بمختلف المصادر التراثية سواء كانت دينية تاريخية شعبية وغيرها وتعتبر جسرًا لتقريب نشاط أزمنة ثلاث للمتلقي في صورة مبنية على مفاهيم جماعية تُسهم في تأصيلها وإحيائها بالتكرار والممارسة.

2-1- المصدر الديني: هو المعتقدات والثقافة الدينية من طقوس ومناسك، وحضور الموروث الديني في الأدب العربي سمة متجذرة منذ القديم، لاعتبار الدين بوصلة روحية وينبوع القيم وأرسخ القواعد لبناء التجربة الإبداعية، ويستمد الأديب من التراث نماذج وموضوعات وصورًا أدبية، و الأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني.[1]

ويعتبر التراث الديني من أهم المصادر التراثية التي استسقى الأدباء منها تجاربهم الأدبية والفنية ووظفوها في كثير من إنتاجاتهم ، حيث يستمده الأديب من منابع ومصادر لها الأهمية البالغة في الجانب الروحي والعقائدي مثل: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والأحاديث الشريفة وكتب السيرة، وتعتبر هذه المصادر مناط رؤاهم و صورهم وموضوعاتهم الأدبية.

[1]- ينظر:علي عشري زايد، توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1998، ص123.

2-2- المصدر التاريخي:

التراث التاريخي هو مجموع الخبرات والتجارب والوقائع و الأحداث المتعلقة بالإنسان عبر التاريخ من خلال فترات زمنية محددة والمتغيرات التاريخية لا تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ولا هي ظواهر أو أحداث، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الباقية والقابلة للتجديد وفي سياقات مختلفة.

لاقى التراث التاريخي بالغ الاهتمام من رواد الشعر والرواية والقصة، بانتقاء الوقائع والأحداث والشخصيات ومحاكاتها في أعمالهم بما يتلاءم مع روح العصر وظروف المجتمع الذي يعتبر الأديب المرآة العاكسة ولسان حاله، فيختار من التراث التاريخي ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي.[1]

والمتصفح للأدب لاسيما الأدب الجزائري يجد التراث التاريخي في أكثر من موضع وسط زحام الدلالات المكثفة التي تنتجها إعادة صياغة التاريخ وتطويعه لما يوطد العلاقة مع المتلقي.

[1]- ينظر: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1997، ص120.

2-2- المصدر الشعبي:

التراث الشعبي هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل داخل الشعب الواحد.

وكلمة شعبي هي" صفة لكل إنتاج وإبداع للشعب ومن الشعب، إنتاج فكري مرتبط ارتباطا عضويا بآلام الشعب وآماله مصورا الشعب في عفويته وطبيعته دون تصنع أو تكلف".[1]

يشتمل التراث على كل من الفنون و المأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية وقصص وحكايا و أمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وطرق الآداء والأشكال والألوان والألعاب والمهارات .

[1]- سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، 1998، ص58.

3- بواعث توظيف التراث في السرد العربي:

لم يكن توجه توظيف التراث في السرد العربي وليد الصدفة، فقد كان له مجموعة من الإرهاصات والبواعث التي دفعته إلى العودة إلى التراث في السعي الحثيث إلى التأصيل للسرد العربي شكلاً ومضمونًا، ومن البواعث التي دفعت إلى توظيف التراث نجد ثلاثة يختصرها لنا محمد رياض وتَّار في كتابه توظيف التراث في الرواية العربية حيث صنفها كالآتي[1]:

3-1 البواعث الواقعية:

حرب حزيران 1967، كانت صدمة استفاقة للمثقفين وجلتهم يقتنعون بضرورة خلخلة البِنَى الفكرية والاجتماعية والسياسية والثقافية لإعادة بناء وتأصيل للسرد العربي، كان ذلك من خلال العودة إلى التراث وقراءته قراءة جادة لا لأجل التقديس أو الانغلاق بل لجعل للأدب هوية وأصالة.

3-2- البواعث الفنية:

تمثلت البواعث الفنية في العلاقة بين الرواية العربية و الرواية الغربية، بما في ذلك تأثر الرواية العربية بالروايات الجديدة التي ظهرت في أمريكا اللاتينية و اليابان و إفريقيا، والتي كانت تعنى بتوظيف التراث الإنساني والغوص في المحلية في قالب سردي، ومن أهم الروائيين في هذه المرحلة نجد الروائي **غابريال غارسيا ماركيز(**Gabriel Garcia Marquez**)** و روايته **مائة عام من العزلة.**

[1]- ينظر: محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2002، ص10-11.

3-3- الحركة الثقافية:

عمد المثقفين والنقاد إلى إبراز أهمية التراث وصب جل جهودهم حول دراسة الأدب العربي القديم واستنطاق أجناسه، لإبراز قيمته وذلك بالعودة إلى النصوص العربية القديمة، بدلاً من الارتباط بالرواية الغربية وبتر العلاقة معها في رحلة التأصيل للسرد العربي.

الفصل الأول: التناص ودلالة الشخصيات والرموز في قصة حياة البدو الرحل

1- التناص واستحضار النص التراثي الغائب

1-1- مفهوم التناص

1-2- التناص القرآني

1-3- التناص مع الحديث النبوي الشريف

1-4- حوارية اللغة (التهجين)

2- دلالة الشخصيات في قصة حياة البدو الرحل

2-1- الشخصية وبناء الدلالة التراثية

2-2- استحضار الشخصيات التاريخية

3- دلالة الرموز في قصة حياة البدو الرحل

1- التناص واستحضار النص التراثي الغائب:

تتقاطع الخطابات وتتداخل لتشكيل فضاء النص، وإنتاج دلالات مكثفة داخل هذا الفضاء من خلال اجترار الكاتب لنصوص وأيديولوجيات وثقافات ساقت تجربته ليبثها داخل فضاء نصه.

1-1- مفهوم التناص: نظرية ظهرت في العصر الحديث تحديدا في القرن العشرين على يد **ميخائيل باختين** (Mikhail Bakhtin) * وقد استفاد من مرجعيات لسانية وأدبية وفلسفية، لخلق نظرية نقدية واستخدمها في وصف العلاقات القائمة بين الخطابات الروائية.

ويمكن القول: إن حوارية **باختين** تقوم أساسًا على التحاور بين أنماطٍ مختلفة من النصوص تتداخل وتتعدد في الأصوات والثقافات، والآراء، والأيديولوجيات في نص واحد، مما يخلق إنتاج نصٍ جديد.

ويُعبِّر **ميخائيل باختين** عن مفهوم الحوارية بقوله: "عندما يدخل تعبيران لفظيان في نوع خاص من العلاقة الدلالية تقع ضمن دائرة التواصل " [1] ويقصد بالعلاقة التحاور والتداخل بين عدة لغات وأصوات لشخصيات في المتن السردي، وقد لقيت نظريته انتشارًا واسعًا، إذ تأثر بها عدد من الباحثين

---

*ميخائيل باختين ،أحد المفكرين الروس أصالة و إثارة للجدل لما جاء به من نظرية أعادت التوازن للفكر الإنساني ؛ ولد في تشرين نوفمبر،حصل على شهادة في الكلاسيكيات ودراسة النصوص وفقه اللغة من جامعة تيروغراد في عام 1918،شغل منصب الأستاذية ،جرى اعتقاله عام 1929بسبب إشاعات حول حملة تطهير سياسي بحلول الستينيات ، ذاع صيته بعد اكتشاف أعماله 1929(كتاب دوستويفسكي، وكتاب رابليه نشر 1965). ينظر: تزفيتان تودوروف، المبدأ الحواري، تر/صالح فخري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1997، ص23.

[1]- أحمد زاوي، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف عبد الحليم بن عيسى، تخصص لغة عربية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة وهران، 2014،2015، ص23.

منهم **جوليا كريستيفا** (**Julia kristeva**)*، التي تعمقت في دراسة الحوارية واستنبطت منها مصطلح "**التناص** (**Intertextuality**) .

ويُعرِّف **سعيد يقطين التناص** بأنه"عدة نصوص تتقاطع وتتحايد" [1] ؛ أي استحضار نص سابق في نص لاحق لخلق نص على شكل حاوية جامعة لمعالم الاختلافات التي تميز الكون، وما الرواية أو القصة إلا خطوات تتبع آثار تطور المجتمع، ويعرف التناص بالتفاعل النصي أي تفاعل نصين مختلفين لإنتاج نص جديد، أي إعادة توزيع.

ولعل القارئ لهذه المذكرة يتساءل: لماذا جعلت من **التناص** بوابة للشق التطبيقي من بحثي؟.

أجيب فأقول: إنّ التناص هو ظاهرة نصية تستوعب في معانيها **التراث** الذي سبق وتطرقت له بالتعريف والذي هو تحميل النص بمضامين ثقافية، وفكرية، ودينية، وأدبية ترسبت في ذهن الكاتب وبنى من خلالها تجربته الأدبية، وهذا لا يختلف كثيرًا على ما جاء به **التناص**. يقول **تزفتان دوروف** (Tzetan Todorov): "من الوهم أن نعتقد بأن العمل الأدبي له وجود مستقل، أنه يظهر مندمجا داخل مجال أدبي ممتلئ بالأعمال السابقة" [2]. فالعمل الأدبي غير مستقل وخاضع لحقيقة تحلل أعمال

---

*__جوليا كريستيفا__، باحثة بلغارية، استفادت من جهود **باختين** ، تعد رائد في هذا المجال (**الحوارية**) باستعمالها لمصطلح **التناص** لأول مرة عام 1966، وقدمت تأطيرًا مفهوميا لهذه الفكرة في مقال لها بعنوان: " الكلمة والحوار والرواية "، وبذلك استطاعت أن ترسم خطوطاً واضحة له . وقد عبر عنه بكلمة(.intertextualité ، ينظر: علاء الدين رمضان السيد، الظاهرة التناص الإمام عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا، بحوث المؤتمر العلمي الأول حول الإمام عبد القاهر الجرجاني وجهوده في إثراء علوم العربية، كلية اللغة العربية، أسيوط، مصر، 4-6 أغسطس 2014، ص1487.

[1]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2،2001، ص 20.

[2]- مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي (الإشكالية والأصول و الامتداد)، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2005، ص187.

سابقة لإنبات نص جديد ينبض بروح الكاتب، ولاستيعاب كل من التناص و النصوص الموظفة للتراث لابد من قراءة أدبية وتفحص وذاكرة مثقلة بالقراءات السابقة، وكذا متلقي حذق يمتلك ذاكرة لينة تتفاعل وفق جدلية الحضور و الغياب، غياب تراث ونص سابق وحضور خطاب جديد لتلقيه.

1-2- التناص قرآني:

يكون في هذا النوع استحضار لآيات من القرآن الكريم داخل النص السردي؛ بغية إنتاج نصٍ يفتح آفاقًا جديدة، ويرجع استحضار الخطاب القرآني في قصة **حياة البدو الرحل** إلى المرجعية الإسلامية للكاتب، فنظرًا لتشبع القاص عبد القادر خالدي بالثقافة الإسلامية و تأثره بالقرآن ولغته انعكس ذلك على خطابه السردي، فضَّمن آيات من القرآن ومعانيها، وكذا أسماء السور ومفردات القرآن الكريم، فَتَنَاصَّ مع كثير من المواضع في القرآن الكريم.

وظف خالدي القرآن الكريم بشكل مكثف فَتَنَاصَّ مع الآية: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.[1]

فيقول: ((يخرج إليه الرجل ويحضر له القهوة بسرعة، وهذه صورة نمطية دائمة الحضور عند قومنا.بعد إلقاء التحية الشائعة "السلام عليكم"))[2].

---

[1] -الأنفال/65.

[2] – عبد القادر خالدي: حياة البدو الرحل (قصّة غائلة نايلية)، تـــ: بخوش صالح، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2015، ص20.

تحية الإسلام "السلام عليكم" ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم وكذا السنة النبوية الشريفة لتنصب في مورد واحد هو تبادل السلام بين متلقي التحية و قائلها، وتدل على صفاء النية والسلام وبعث الطمأنينة في نفس متلقيها.

فالقاص هنا ناصَّ هذه التحية مع القرآن، والتي هي أيضا تحية أهل الجنة، ليظهر إسلامية قومه ومسالمة أهله و التي وصفها بـــ: ((مفتاح للنية المسالمة للزائر))[1].

يبين الله في محكم تنزيله طريقة قسمة الميراث والتركة بين أولو الحق من أهل الميت، تناص عبد القادر خالدي مع آيات القرآن التي ورد فيها ذلك بقوله: ((إذا ترك الميت نساءً، فإنهن يقتسمن ثمن التركة فيما بينهن. أما الأبناء فيقتسمون ما بقي من التّركة على أساس أن ينال الذكر مثل حظ الأنثيين. أمّا إن لم يترك الميت وريثا ذكرا وترك البنات فقط، يصبح لأعمامهنّ الحق في الميراث وهو الأمر الذي يثير الغيظ في بعض الأحيان))[2].

يقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[3].

[1]- المصدر السابق، ص20.

[2]- المصدر نفسه، ص25.

[3]- النساء/11.

لم يترك الله تعالى أمرًا من أمور الدين و الدنيا إلا و تطرق له وفصَّل فيه وبينه، و لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها في قرآنه الكريم، وترك لأهل العلم والفقه مسؤولية الشرح والتفسير، فالكاتب هنا يبين تقسيم ميراث الميت حسب التشريع الإسلامي و ما جاء في آيات الفرقان.

وفي موضع آخر من القصة يقول **خالدي**:((يساعد على قطع الخبز وتقليم الأغصان وذبح الطريدة إن لم تمت قبل إراقة دمها، وإلا فإنه يحرم على المسلم أكل لحمها)).[1]

تناص مع الآية : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[2]

يجعل النائلي الإسلام وشعائره كتقنين وتقعيد لحياته، فتجده يحتكم إليه في كل مسائل حياته، يعرفه حق المعرفة ويحرص على تطبيقه و العمل بتشريعاته، فنجده يحتكم إلى آيات سورة البقرة التي حرمت أكل الميتة؛ أي ماتت قبل ذبحها الذبح الشرعي، وذلك في التعامل مع طرائده أثناء الصيد الذي هو من هوايات الرجل النائلي.

[1]- القصة، ص2.

[2]- البقرة/173.

1-3- التناص مع الحديث النبوي الشريف:

يعد الحديث النبوي الشريف يعتبر المصدر الثاني في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وله أيضا ما له من فصاحة وجزالة في اللفظ ودقة في المعنى، وتوظيف الحديث الشريف يتفاعل وينصهر والنص القصصي، وقد كان ولا يزال الحديث أحد المناهل والمصادر التي ينهل منها الكُّتاب مادة خطاباتهم.

ومن هؤلاء الكتاب نجد **عبد القادر خالدي** في **قصته البدو الرحل** الذي استطاع أن يستوعب مضامين الحديث الشريف ويطوعه ويذيبه في القصة فيما تقتضي حاجته القصدية. يقول:

((يسمى هذا العامل اليومي (الخمّاس) لأن له الحق في خمس الغلّة المجنيّة، وتعطى له أجرته على الفور، ((**إعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه**))).[1]

ورد التناص في المتن القصصي متآلفا ومتطابقا "لفظاً ومعنى" مع الحديث النبوي الشريف ((**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**)).[2]

استثمر القاص هنا النص النبوي ليجسد فكرة ضرورة إعطاء الحق لصاحب الحق، وهو ذلك العامل الذي يكد من أجل مقابل يسنده في ضنك العيش، وذلك دون تأخير أو ممطالة.

ارتكز خالدي على الحديث الشريف واستوعب مضامينه ودلالته واستطاع أن يذيبه في نصه السردي وكأنه في ذلك يبتغي إضاءة الماضي بالحاضر.

---

[1]- القصة، 42.

[2]- راسم محمد عبد الكريم، الاستحسان في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص97.

اخترت التناص الديني وخصصت القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة منه محاكية ما تبين من خلال قراءاتي لقصة **البدو الرحل**، فالقاص خالدي بث ثقافته الإسلامية المستقاة من القرآن الكريم وأحاديث نبي الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في كل موضع من عمله، حيث حققت القصة حواريتها من خلال النص القرآني المشكل لجسدها السردي، ومنحت للقارئ حرية الحركة وإنتاج المعنى أو الدلالة مع حضور أفق التوقع.

واستلهام القرآن الكريم في الخطاب القصصي، يخلق نصا جديدًا يحمل سمات دلالية وجمالية تعبق بروح التراث

1-4- حوارية اللغة (التهجين):

من الظواهر التي طغت على اللغة السردية في **قصة البدو الرحل** والتي تدخل في مناط **التناص** ما يعرف عند **باختين بالتهجين (Hybridation)** وهو من طرائق إبداع صورة اللغة في السرد، ويقصد **بالتهجين** " مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، وهو أيضا التقاء وعيين لسانين مفصولين بحقبة زمنية، وبفارق اجتماعي أو بهما معًا داخل ساحة ذلك الملفوظ"[1].

ففي نصوص خالدي نجد لغة قصصية تراثية حملت الأصالة اللغوية النائلية للموروث اللغوي العربي، وقصة حياة البدو الرحل فتحت دفتيها على كل من اللهجة النائلية والعربية، حيث تم المزج بين لهجتين اجتماعيتين على المدلول نفسه وبدوال متعددة، ولحقب زمنية مختلفة.

[1]- ـــ ميخائيل باختين، الخطاب الروائي ، تر/ محمد برادة ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،1987، ص18.

فعند قراءتنا **لقصة البدو الرحل** نجد أن خالدي زاوج بين اللغة العربية و اللهجة النائلية، فيذكر الكلمة بالعربية ليفتح القوس للكلمة النائلية، وعلى سبيل الاستدلال وفي مجموع من المواضع في القصة عثرنا على المقاطع الآتية:

-((والمرأة الحاذقة (**الفحلة**) تنسج الملابس و الخيم (**الفليج**)).[1]

-((**في** منطقة الريف يتحدث أولاد نايل العربية الدّارجة الجزائرية مع شيء ما **الشاوية** (**الأمازيغية**) وبعض الكلمات الموروثة عن الاستطان الفرنسي)).[2]

-((ويضاف اليها قطع صغيرة من اللّحم والفلفل الأسود والمشمش المجفّف (**الهرماس***)).[3]

-((سيهنئه حتما جميع القوم ويقولون له: (**صحيت يا الشيخ**) **برافو أيها المقدم**)).[4]

-((والأكثر من ذلك أنني عندما أهمس له في أذنه بكلمات يسمعني ويفهمني حتى ولو خاطبته باللغة الفرنسية (**الرومية**)).[5]

-((قام الشيخ ونادى: (**يا لعجوز نوضي، مانيش بخير**)).[6]

لماذا حدث هذا التهجين في لغة قصة **البدو الرحل لعبد القادر خالدي؟**.

التركيب الهجين لبعض مفردات القصة ماهو إلا أسلوبان أو طريقتان من طرق الكلام بمعنى واحد، وبهذا يدخل على خطابه عناصر جديدة تُحدِثُ تفاعلاً وبين سياقات مختلفة، وبما أننا في زاوية

---

[1]- القصة، ص10.

[2]- المصدر نفسه، ص20.

*الهرماس هو المشمش المجفف.

[3]- المصدر نفسه، ص33.

[4]- المصدر نفسه، ص120.

[5]- المصدر نفسه، ص132.

[6]- المصدر نفسه، ص137.

الحوارية واستحضار النصوص وقرائنها التراثية، فاللغة كيان اجتماعي استحضاره يكون فيه استحضار سجل اجتماعي ثقافي كامل الأطر، ومن قراءتي لقصة **البدو الرحل أرى** أن القصة موجهة للمجتمع النائلي العارف للهجة النائلية، حيث حضرت اللهجة النايلية حاملة ثقافة أبعاد زمنية متعددة، ودخلت أثناء كتابة القصة أصوات متعددة من ثقافات وأزمنة مختلفة بنية جعل النص منفتحًا على عوالم وثقافات متعددة.

2- دلالة الشخصيات في قصة حياة البدو الرحل:

إن ما يثير عقل القارئ هو المستوى الخارجي للنص من حيث تركيب الجمل والكلمات وحسن الانتقال والأسلوب، إضافة إلى استقطابه للأجناس الأخرى وتطويعه، وهنا تتشكل علاقة بين الكاتب " المؤلف "والقارئ" المتلقي" وعلاقتهما معا بالواقع .

نعلم جيدا أن النص عبارة عن وحدة دلالية مشفرة، والقارئ هو الذي يفك هذه الشفرات، إضافة أنه مرتبط بالمجتمع والواقع .

العمل السردي محاكاة لتجربة عاشها الأديب واتخذ موقفا منها وتبنى من خلالها رؤيته الخاصة والمختلفة التي يقوم بفعل الكتابة تحت تأثيرها ويعمل الكاتب على استنساخ نفس معالم تجربته بطريقة هدم وبناء؛ أي يُحدث خللاً في تلك الأحداث التي عاشها و يبني من خلالها عالم يعالج فيه القضية مع تقديم وجهة نظره، واللغة التي استخدمت هي لغة تخدم السياق الذي عرضت فيه والموضوع الذي تتناولته، وهي لغة إبداعية تفاعلية منفتحة على أنساق أخرى وخطابات متعددة.

2-1- الشخصية وبناء الدلالة التراثية:

الشخصية هي"تلك الذات التي تقوم بوظيفتها داخل المتخيل الجمعي من خلال التناغم مع ذاكرة المتلقي والارتباط باللاشعور، وذلك بمقتضى حمولتها الأيديولوجية والثقافية".[1]

فالشخصية هي استجابات الفرد للمثيرات الاجتماعية وطريقة التوافق مع مظاهرها، تتأثر الشخصية بالبيئة الثقافية والحضارة التي تنتمي إليها، فلا يمكن عزل الشخصية عن الإطار الثقافي الذي نشأت فيه، حيث تعدُّ الشخصيات دلالة ومرآة عاكسة للمجتمع والثقافة.

كيف جعل الكاتب من الشخصية مرجعا تراثيا؟

عند قراءتنا لقصة **حياة البدو الرحل** نرى أن شخصياتها مستوحاة من الواقع الاجتماعي؛ أي إن الكاتب عاد للواقع وغرف منه أنماطًا من الشخصيات من حيث أقوالها وأفعالها وطريقة تفكيرها، وتكشف الشخصية على مجموع التكوينات والترسبات التي تمثل صدى المجتمع، وتدخل ضمن التراث الذي يحاول الكاتب تمثيله في خطابه.

الكاتب وفي بنائه لشخصياته جعل منها ضمنيًا تعبر عن المعنى الغائب القائم على جدلية المفارقة بين الحاضر والماضي، المجتمع الجزائري المُمَثل له بالتجمع البدوي الذي يرتحل لأجل العيش تلفحه نيران الاستعمار محافظًا على أصالته، وقيمه، وأخلاقه الحميدة، وحاملاً للدين

[1]- محمد فراح، الخطاب المسرحي و إشكالية التلقي، نماذج وتصورات في قراءة الخطاب المسرحي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص30.

الإسلامي مطبقًا لشرائعه، وعَرْضُ ذلك يجعل منّا تلقائيًا في قلب حدث المقارنة بين الحاضر والماضي .

تدخل الشخصيات في معترك الفضاء النصي الحامل للدلالة التراثية التي أنتجها الكاتب، فتحضر صورة الرجل في المجتمع النائلي بصوتها ألذكوري المسيطر، والمرأة بصوت الحكمة والصبر والتضحية، بحيث تعددت الأصوات في القصة، حملت في جوهرها دلالات متنوعة سُقِيَتْ من منهل التراث النايلي الذي يحاول الكاتب خالدي أن يبثه في كل مرة في مختلف مَواضع فضاء نصه، ونلمسها من خلالها تعدد الصيغ و الرؤى، ونلاحظ في القصة صوتين قد طغيا.

2-1-1- صوت الرجل:

تمثل في شخصيات (الأب، والجد، والعم، والقايد، والرّاعي، والمقدم،...)، ففي المجتمع البدوي يقوم الرجل مقام الحامي للأطفال والنساء، والشجاع، والحامل لكفنه على كتفه لتربص الموت به من أعداء ولصوص وحيوانات ضارية حتمت عليه الظروف أن يعايشها، يقول خالدي: ((أما الأطفال الذين يكفل الرجال حمايتهم...))[1]، وكانت السمات الشخصية في شخصية الرجل البدوي بارزة تميزت وبنت له كيان ثقافي يحمله دون غيره، اتضح ذلك في الخصال و الأفعال وطريقة العيش المستمدة من جذور العروبة و الإسلام، والرجل البدوي صورة للابن البّار الحامل لواء عائلته ومسؤول عن الأمانة التي تركها له

[1]- القصة، ص15.

والده: ﴿ الشيخ هو موحّد صف العائلة، وفي غيابه تنتقل قيادة العائلة إلى الأكبر سنًا و أكثرهم حنكة (...) الثقة التي تجمع الأب بابنه راسخة ومتبادلة﴾[1].

والجدُّ الجامع لعائلته الموحد لصفوفها: ﴿الجد أو «الشيخ» هو ركن وركيزة العائلة و القبيلة والجماعة؛ فهو أب الجميع وسيّد الخيمة و العائلة (...) هو موحد صف العائلة﴾[2].

صوت الشخصية في القصة حاكى واقعا ماضيًا، كان حاضر الكاتب قد علقت صورته وترسبت في ذاكرته، فجعل منه تراثا انفتح عليه نصه، ونسج من هذا التراث نصًا قصصيًا دارت أحداثه حول موضوع واحد هو سرد **حياة البدو الرحل**.

2-1-2- صوت المرأة:

تمثل في شخصيات (الأم، والجدة ، وسيدة ونساء العائلة،...)، تميزت المرأة في المجتمع البدوي عن غيرها من النساء في عديد الميزات التي أضفتها عليها الطبيعة الصحراوية، فالمرأة شريكة الرجل في أعماله وحياته، يقول عبد القادر خالدي: ﴿كانت تقود (كنّاها) وكأنها رجل، (...) ماهرة في كل شيء متقنة لجميع أعمال((البيت)) كتقطيع الحطب وحلب النعاج والأبقار وإيقاد النار وطهي الرغيف (...) لقد كانت قادرة على أداء عمل الرجال، ففي غيابهم كانت تفكّك الخيمة وتعيد نصبها وتتحكم ببراعة في استعمال البندقية﴾[3].

[1]- المصدر السابق، ص57.
[2]- المصدر نفسه، ص56.
[3]- المصدر نفسه، ص117.

المرأة البدوية ركيزة المجتمع البدوي، صفاتها وخصالها المميزة منحتها الخلود؛ بحيث تستحضر في رمز المسؤولية والتفاني و الإخلاص ودلالة قوة وصلابة، وهي الحاضرة في مفارقة القديم والحديث، فالمرأة البدوية مثال المسؤولية قائمة على شؤون بيتها رفيقة رجلها وأم جيدة، يستفيد منها المجتمع وتلعب الدور الفعّال في تنميته، وكل ما في بيت البدوية هو صنع يديها ((المرأة الحاذقة (الفحلة) تنسج الملابس و الخِيَّم (الفليج)، وتصنع كلّ شيء لضمان العيش))[1].

فخشونة الحياة وشظف العيش والصراع الدائم مع الطبيعة أكسبها القوة والصلابة وجعل منها رجلا في غياب رجلها، وحملت البدوية صفات طبيعتها وصبغت بصبغتها وتطبعت بخصالها، فأخذت من الصحراء وسع قلبها وصفاء سريرتها، ومن الخيل شموخها وعزتها، ومن الجَّمال قوتها وصبرها، وكان حضور المرأة في قصة حياة البدو الرحل حضورًا مبدعًا.

جعل الكاتب من الشخصيات بحركتها وخلقها للأحداث وأصواتها المتعددة، تعبيرا دالاً على ثقافة مجتمع، فبمجرد اقترابنا من الشخصية داخل قصة **حياة البدو الرحل** تنفتح لنا أبواب المجتمع النائلي وتتضح لنا رؤية الكاتب في محاولته لانفتاح خطابه على التراث.

[1]- المصدر السابق، ص10.

2-2- استحضار الشخصيات التاريخية:

الكاتب مرآة لواقعه، ملتزمٌ بقضايا مجتمعه، والكاتب الجزائري بخاصة متشبع بروح التحرر، عايش الثورة وكان له الدور الفعال في جهاد القلم، واستمر الأديب الجزائري "يسهم في سير الثورة ويقوم بدوره في الصراع الحضاري والسياسي عن طريق الشعر و المقالة الفكرية والقصة القصيرة التي اتخذت في هذه الفترة بالذات طابعا رومانسيا واضحا"[1].

وقد سلّط **الكاتب عبد القادر خالدي** الضوء على أحداث الثورة الجزائرية وهو التاريخ الحاضر في الرواية، يعتمد في سرده على أيديولوجيته، والنظرة التعظيمية للثورة، تشاركه في تعبيره وسرده أحداث وشخصيات منها الشخصيات التاريخية، وتستدعى الشخصيات من التاريخ التي تنتمي إليه أصلاً فيتشكل الخطاب التراثي.

2-2-1- عقبة بن نافع الفهري: شخصية إسلامية بطولية، ارتبط اسمها بالفتوحات الإسلامية، وأسهم في نشر الإسلام بحنكته وشجاعته، برز اسم عقبة بن نافع مبكرا على ساحة أحداث حركة الفتح الإسلامي في ساحل إفريقيا الشمالي، ووظفها **خالدي** في قصته فقال: ﴿وكان أبي قد واصل جولته إلى ضريح الولي **سيدي عقبة**، أحد الناشرين الأوائل للإسلام في إفريقيا﴾.[2]

[1]- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1983، ص7.

[2]- القصة، ص66.

ارتبط اسم شخصية عقبة بن نافع (سيدي عقبة) بمنطقة بسكرة التي حلت بها القافلة، فذكر الكاتب هذه الشخصية في متن قصته لتقريب صورة مكان الحدث الذي هو بصدد وصفه؛ وهو حلول القافلة بمنطقة الزيبان التي كانت الوجهة و القصد، وأعتبر خالدي البلاد التي حلَّت بها القافلة هي بلاد هذه الشخصية وراح يذكر إنجازاتها ودورها في نشر الإسلام.

2-2-2- شخصية حيزية: هي تلك المرأة الرمز التي تغنى بقصة حبها وجمالها الشعراء أمثال: الشاعر الفلسطيني عز الدين مناصرة و عز الدين ميهوبي، فإذا كان للغرب **"روميو وجولييت"** فإنّ لنا **"حيزية"**، وهي بنت أحمد بن الباي من عرش الذواودة وهو بطن من بطون بني هلال، انتهت قصة حبها وابن عمها **سعيد** بموتها في عمر 23عامًا. فحيزية بطلة لقصة واقعية ورمز للمرأة التي تموت قهرًا دون أن تبلغ مُرادها وتتزوج حبيبها.

حضرت **حيزية** في قصة **حياة البدو الرحل** كرمز من رموز الصحراء، وعند بلوغ موطنها استوجب على الكاتب تذكر هذه المرأة التي أصبح قبرها محجًا لكل عاشقٍ ضيع دربه في الوصول إلى معشوقه، يقول خالدي: ((واصلت المجموعة سفرها بهمّة وحيوية، واجتازت بلاد أولاد جلال، أرض البطلة **"حيزية"**))[1].

وقوف الكاتب على هذه الشخصية واستحضارها هو استحضار لدلالة راسخة في ذهنية الصحراوي وثقافته.

[1]- المصدر السابق، ص64.

2-2-3- شخصية أتيلا الهوني: هو شخص جلب الرعب والموت للملايين رفقة رجاله البرابرة، الذين عذبوا واغتصبوا النساء وقتلوا كل من وقف في وجههم، تروي إحدى الأساطير أنهم غمسوا أقواسهم في عصير الأجنة المغلي وشربوا دماء النساء وكأنهم منحدرين من أرواح قذرة، ومن شدة قسوة **أتيلا** التي لا حدود لها بنشره للرعب والموت والدمار في أنحاء الإمبراطورية الرومانية أيقن المتدينون في روما أن الله أرسله من الجحيم لمعاقبتهم حيث لقبوه "بعقاب الله"[1].

واستحضر الكاتب شخصية **أتيلا** في قوله:((كل أرض يمر عليها حصان **أتيلا الهوني**، فلن ينبت فيها حشيش أبدا..))[2]، هو تعبير عن هول الاستعمار وبطشه وظلمه، لا يمر حصان **أتيلا الهوني** على أرض حتى تنعدم فيها الحياة، شأنها في ذلك شأن منطقة " **رقان**" التي انعدمت فيها الحياة جراء ما فعله الاستعمار من جرائم الوحش الإشعاعي بها و بأهلها.

2-2-4- الأمير عبد القادر: يعد الأمير عبد القادر الجزائري من أهم الشخصيات الوطنية التي صنعت أمجاد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، ومن عظماء التاريخ أيضا، محققًا بذلك مكانة مهمة يشهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء، بعد أن أبهرهم في ساحات المعركة بطلاً، وبتركه جنوحًا للسلام حكمة وإدراكًا لماهيات الأمور وطبيعة الموازين بفكره العميق.

[1]- ينظر، باسم الصعيدي، أتيلا الهوني.. https ://www.kabbos.com/index.php?darck=509. /26/05/2019 .03 :44pm

[2]- القصة، ص80.

استحضر الكاتب شخصية **الأمير عبد القادر** في قوله: ﴿حدثّني عن الأمير عبد القادر بقصر الشلاّلة وعن معاركه وبسالته﴾[1]، ودلالة حضور الشخصية التاريخية **الأمير عبد القادر** في القصة هي دلالة لمقاومة لشعب عايش الاستعمار وويلاته مذ سنة 1830م، وهو رمز من رموز الصمود والتضحية من أجل القضية الوطنية، وهو أيضًا ذلك الرجل المحنك سياسيًا وثقافيًا ودينيًا، الذي تروى خصاله وتتوارث وتنفذ عبر الأبعاد الزمنية.

تُعدُّ الشخصية إذًا ركنا أساسًا من أركان الرواية أو القصة، وهي العنصر الفاعل الذي يسهم في صنع الحدث يؤثر فيه ويتأثر به، فمن البديهي أن الأحداث لا يمكن أن تجرب بنفسها وإنّما يجربها، أو تقوم بها مجموعة أشخاص ولابد من وجودها في أي عمل قصصي طالما كان من الضروري وجود الحدث فيه، والشخصية في الرواية تشكل بؤرة مركزية لا يمكن تجاوزها أو تجاوز مركزيتها، فالرواية من أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالشخصية [2]، ونظرًا لهذه الأهمية التي تكتسيها ضمن المتخيل تم استحضارها في قصة **حياة البدو الرحل** لتؤدي أغراضًا متعددة يبغيها صاحب هذا العمل الأدبي.

[1]- القصة، ص81.

[2]- ينظر: جويّدة حماش، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص57.

3- دلالة الرموز في قصة حياة البدو الرحل:

أغدق الكاتب على قصته بالرموز الطبيعية وكانت الظاهرة الأبرز في خطابه، فحياة البدو الرحل شديدة التعلق بالطبيعة مواكبة لها ومسايرة لظروفها، فالبدوي غطاؤه سماء وفراشه تراب، ويتبع مواطن الماء وكلأ ماشيته.

3-1- رمزية القهوة: للقهوة في الأدب رمزية مقدسة، حيث يعتبر التوسل بها وبرمزيتها في السرد ضربًا من التورط في سحرها وشِعْرِيَتِهَا، وتعتبر القهوة بتجلياتها ورمزيتها جزءًا مهما من هوية المجتمع العربي والثقافة النايلية على وجه أخص، فأصولها العربية المتجذرة في عمق الحضارة العربية جعلت منها رمزًا للأصالة ومتنًا سوسيولوجي وجماليًا يتناوله رواد الكتابة وصناع الخطاب. يقول **خالدي:**((بدأت القهوة الممزوجة بالشيح تبث عبقها مستفزّة غيرة وجبة ((المردود))))[1]، ويقول عن القهوة أيضا في موضعٍ آخر من القصة: ((الضّيف عندنا رفيع الشأن حتى وإن كان غريبًا وله الحق في نيل كلّ التقدير وقهوته جاهزة سريعة التحضير !))[2] القهوة لحن من إيقاع الكرم، ورائحة القهوة دلالة فرح ونشاط ونشوة، حيث تتجاوز رمزية الكرم والضيافة لتصبح نمط حياة مجتمع ومظهر من مظاهر العروبة و الأصالة، فمدلول القهوة يتعدد بتعدد السياقات التي تحضر لها، القهوة رفيقة البداوة وعروس المشهد البدوي، فنجان

[1]- القصة، ص8.

[2]- المصدر نفسه، ص19.

القهوة الذي لا يزيد عن بضع قطرات من شراب مر المذاق يشكل وسيطًا رمزيًا لتعزيز قيم الكرم والضيافة.

3-2- رمزية الأرض: لا يقصد بالأرض تلك الرقعة الجغرافية المحددة المعالم؛ بل هي الوطن، والحب والشغف، والشرف، تمثل الأرض للبدوي العِرض عندهم، فهناك مثل يقول: "من ضَيّع أرضه ضيَّع عرضه"، الكاتب خالدي جعل من "الأرض" [1]عنوانًا لجزء من قصته، ليفسح لنا مجال إنتاج الدلالة وفسيح أفق التوقع، الأرض عند عبد القادر خالدي كيانًا زاخرًا بالحياة و الحركة، مستلهما منها الثبات والتجذر والمقاومة والرسوخ، وبِحُكْمِ الصراع الذي عايشه الكاتب والاستعمار أصبح واع ومدركًا لأهمية الأرض لمن دفع النفس والنفيس في سبيل أرضه، فرمزية الأرض لها دلالة عميقة ومتأصلة في نفس الكاتب انطبعت على قصته، يقول خالدي: ﴿بلا أرض تنتفي الحاجة إلى شروق الشمس ﴾[2]، فالأرض مقدسة حاملة لعرشها على ظهرها أحياءًا ضامتًا لهم في بطنها أمواتًا، فالأرض للبدوي حياة، وهي مصدر عيشه وماشيته، يجوبها بحثا عن مواطن الماء، حاملا بين ضلوعه قلبا ينبض بحبها.

3-3- رمزية اللون الأبيض: اللون الأبيض ينتج عندما يعكس جسم ما جميع الأشعة عليه دون أن يمتص أيًا منها،وهو أكثر الألوان سطوعًا ويطفئ بريق الألوان الأخرى عند اختلاطه بها، وهو اللون الذي يختزل الألوان جميعا، فالبياض رمز صفاء النفس وطهرها، ويحضر اللون

[1]- القصة، ص21.

[2]- المصدر نفسه، ص23.

الأبيض في قصة **حياة البدو الرحل** في قول خالدي: ((ويحبون اللون الأبيض، ويعيشون على تربية المواشي والزّراعة))[1]. اللون الأبيض دلالة نقاء وعفة ونظافة ووضوح، وما حب البدوي للون الأبيض دون باقي الألوان إلا لأنه يمثل كل ذلك، ولأصالة البدوي العربية ارتبط وثيق الارتباط بهذا اللون، فالعربي يتخذ من الأبيض معيارًا للحسن والجمال وذلك لندرة صبغته في بشرتهم السمراء وحاجتهم إليه وافتقادهم له جعلته مرغوبًا لديهم، والبدوي الساكن الصحاري وحكم طبيعتها القاسية وشمسها الحارة يتحرى اللون الأبيض لأنه لون التوافق و والانسجام مع الشمس؛ أي إنه لون بارد، فنجد البدو يرتدون الثوب الأبيض لأنه عاكس لضوء الشمس كونه يوافقها.

[1]- القصة، ص35.

الفصل الثاني: توظيف التراث في قصة حياة البدو الرحل

1- المثل الشعبي

2- العادات و التقاليد

3- المعتقدات:

4- الفنون الشعبية:

1- المثل الشعبي:

هو جمل قصيرة تحمل دلالات ذات طابع تعليمي، يعبر عن ثقافة الجماعة التي ينتمي إليها، ويمتلك امتدادًا زمنيًا وحضاريًا، يلجأ إليه الكاتب لإثراء النص وإكسابه مسحة شعبية إلى جانب أنه يؤدي "وظيفة أسلوبية وموضوعية، يراها المؤلف ضرورة أو مناسبة أو منسجمة مع السياق الذي يقدمه" [1]؛ أي يتم استحضارها على حسب السياق والموقف الذي يحتاج لاستدعائها.

اتخذ المثل الشعبي حيزًا معتبرًا داخل قصة **حياة البدو الرحل**، استمده الكاتب عبد القادر خالدي من عبق التراث والبيئة المحلية، ومن ثقافة المجتمع ورصفها حسب ما يتطلبه السياق والموقف، واتخذ منه سبيلاً للتعبير وإيجازًا لموقف أو معنى، وللمثل "مورد ومضرب يقصد بالأول الموقف الذي صدر عنه أول مرة قيل فيه، والثاني السياق الذي أعيد إنتاجه من خلاله"[2]، والمثل قول مأثور في عبارة وجيزة يتضمن قاعدة أنتجت من خلال موقف لشخص ثم عممت وتداولتها الألسن، وأصبحت تستحضر في موقف تشابه، والموقف الذي قيلت فيه أول مرة، يختلف المثل من بيئة لأخرى ومن مجتمع لآخر فلكل طريقته الخاصة في إنتاج أمثاله التي تواكب

[1]- عبد الله بن صفية، الاستشراف في الرواية العربية (مقاربة سردية في نماذج نصية)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث بإشراف إسماعيل زردومي، تخصص سرديات ،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014 ص194.

[2]- عبد الحميد بو رايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر،(د.ط)، 2007 ، ص59 .

تجاربه، فالمعاني التي يحملها مضمون المثل هي"تجسيد لقيم وتقاليد ومعتقدات وسلوك الشعب الحقيقية، لأنها انعكاس للبيئة التي نشأ فيها"[1]، فالمثل انعكاس لثقافة المجتمعات.

ويتسم المثل "بالميل إلى الرمز والتلميح دون التصريح والكناية دون الإفصاح" [2]، فمن سمات المثل الغموض حيث لا يفك شفراته إلا المستوعب لثقافته.

جدول رصدنا فيه الأمثال الشعبية الواردة في نص **قصة حياة البدو الرحل** فيما يأتي :

نص المثـــــــل	رقم الصفحة	الموضـــــــوع
الطبيعة القاسية تقصي الضّعاف	**36**	**البقاء للأقوى**
ليس من الجد حمل الحياة محمل الجِّد	**54**	**الرضى بالقضاء والقدر**
خيط الذهب يرق ولا يقطع	**57**	**المسؤولية**
على المرء أن يموت رجلاً خيرٌ له من أن يعيش جبانًا	**59**	**الشجاعة وتحمل الصعاب**
ما حكّ جلدك مثل ظفرك	**87**	**الاعتماد على النفس**
العود إلي تحقريه يعميك	**112**	**الحكم بظاهر الأشياء**
خلعة الذيب خير من شي جنابو	**130**	**التسامح**
لا تقنط في قلب الحبّة ولا تفرح فوق الفرسان	**145**	**الثقة بالله**

[1]– –محمد صفوت، الأمثال الشعبية، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1998، ص5 .

[2]– نبيل حلمي شاكر، أمثالنا الشعبية ، خطوات للنشر و التوزيع،دمشق، سوريا، ط1، 2004 ، ص9.

1-1- تحليل الأمثال الشعبية الواردة في القصة:

استعان الكاتب عبد القادر خالدي في قصته بمجموعة من الأمثال لتعزيز المعنى ولإضفاء مسحة جمالية عليه، وذلك حسب ما يتطلبه السياق ويستدعيه المشهد المراد تغطيته، فجاءت على النحو الآتي:

- **البقاء للأقوى:** قال خالدي هذا المثل في محل وصفه لعسرة الطبيعة التي يقف لها جسد البدوي الذي نحته المصاعب ومشاق الصحراء، ليواكب ما حتمته عليهم الحياة وما جبلوا عليه من عيش، فلا مكان للضعفاء في بيداء الصحراء.

- **الرضى بالقدر:** جاء هذا المثل على لسان والد العروس الذي زفَّ ابنته إلى بيت زوجها في بهجة وفرح، وسرعان ما تحول ذلك إلى حزن وكدر أحس فيه الوالد بفراق ابنته التي كبرت أمام ناظريه فلم يجد مناصًا من التفكر في أمر الدنيا ومن يعاقرها غير ناظر لتقلبها من سراء إلى ضراء، وضرورة الرضى بما أعده الله تعالى.

- **المسؤولية:** ولىَّ الجد الأكبر أو ما يسمى في المجتمع النايلي "الشيخ" مسؤولية التصرف في شؤون العائلة للابن الأكبر ، الذي يحمل على عاتقه مسؤولية الأمن و الطعام وأمور التجارة، تتوارث هذه المسؤولية ولا تنقطع مهما طوحتها ظروف الحياة.

- **الشجاعة وتحمل الصعاب:** يأخذ الشيخ مسؤولية تكوين القافلة من أشد وأقوى الرجال المعتادون على تحمل المشاق مدججين بالأسلحة مدربون على القتال، فالخطر متربص بهم من قطاع الطرق الطامعين في أحمال القافلة، الروح القتالية وحب المغامرة

تدفع بهؤلاء الرجال إلى الاندفاع في مواجهة المجهول دون خوف من الموت، فهذا هو معنى المثل الذي يؤمن به رجال القافلة.

– **الاعتماد على النفس**: الكاتب وفي وصفه للتجربة التي عاشها في السوق، جاء على ذكر السلع وطالبيها كل حسب مجال عمله وجنسه، والرجال يشترون لأنفسهم ما يعجبهم كل حسب ذوقه واحتياجه الذي لا يعرفه غيره، فاستشهد الكاتب بهذا المثل لتقريب الصورة للمتلقي.

– **الحكم بظاهر الأشياء**: عندما رأت المرأة الشيخ تبادر لها أنه ضعيف وهي قادرة على أن تهزمه في نزال قتال ند للند، قبل الشيخ منها التحدي وبحركة واحدة منه أرداها أرضًا دون أن يكسر لها عظمًا، وقال لها المثل بنبرة استهزاء، وفيما معناه لا تحقرن صغيرة، فإن الجبال من الحصى.

– **التسامح** : يضرب هذا المثل في سياق العفو والمسامحة الذي يكون في أغلب الأحيان أنجع من العقوبة، فقالت الجدة لابنها هذا المثل لتهدئ من روعه وتعزز رضاها على قراره بعفوه على السارق.

– **الثقة بالله** : بالإيمان أن بعد العسرِ يأتي اليسر، انقضى فصل الشتاء الذي حمل مع بياض ثلوجه معاناة ساكني الخيمة ودوابهم، وجاء الربيع حاملاً الخير والأمل والفرح، فضرب الكاتب هذا المثل في من تمسك في عروة الله الوثقى وصبر واحتسب أمره لله تعالى فكان الله عند حسن ظن عبده.

أضاف المثل في قصة **حياة البدو الرحل** شعرية ارتسمت من خلال الرمزية التي حملها المثل وبثها داخل المعنى، وبرغم اختلاف مضارب الأمثال ومشاربها فهي تتفق كونها خلاصة تجربة إنسانية حملت ثقافة المجتمع البدوي.

2- العادات والتقاليد:

لكل مجتمع عاداته وتقاليده التي تختلف في تفاصيلها من مجتمع لآخر، وتمثل روح التراث الذي ينفذ عبر الأبعاد والأجيال، فتتوارث ويعتنقها الأولاد و الأحفاد، ولها تأثير كبير في تكوين لبنة المجتمع والنواة التي تدور حولها كل التجارب و المواثيق التي تحكم حياة الفرد والجماعة، "وتمتاز العادات والتقاليد بقدرتها فهي تتطلب امتثالاً جماعيًا، وقبولاً وموافقة قد تصل في بعض الأحيان إلى حد الطاعة المطلقة، وتختلف العادات و التقاليد من مجتمع إلى آخر كما أنها تتغير بتغير الزمن"[1].

تتغير العادات والتقاليد وقد تُبْتَدَعُ عادات جديدة وذلك في تعاقب الأجيال واختلاف البيئة والسياق والعقليات، وللبدو الرحل عادات وتقاليد ميزتهم عن غيرهم من المجتمعات، تمسكوا بها وصارت مراسيم ونواميس تُسَطِرُ حياتهم، فعادات البدو الرحل وخصالهم من كرم وصلة رحم ... والمستمدة من الدين الإسلامي منحتهم الاحترام والثبات.

[1]- فاروق أحمد مصطفى و مرفت العشماوي ،دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008 ،ص . 198

عمد الكاتب عبد القادر خالدي إلى العادات والتقاليد الشعبية فوظفها في خطابه بشكل مكثف، نظرًا لأهميتها في موضوع قصته، ومن العادات والتقاليد التي جاءت في القصة نقف على ما يأتي:

2-1- الزواج: يعتبر الزواج من أهم المظاهر الاجتماعية التي تحتل مكانة كبيرة في حياة المجتمعات الإنسانية وذلك من خلال الأطر القانونية و الشرعية التي يوضع فيها ميثاق الزواج، فيتم من خلاله تنظيم المجتمعات وسلالتها والحفاظ على النسل واستمرارية الوجود، وتختلف مراسيم الزواج وتتباين من مجتمع لآخر، والكاتب عبد القادر خالدي وصف طقوس الزواج عند المجتمع البدوي، فتحدث عن الزواج عند أولاد نائل ضمنت الصفحات من 50إلى54:

- الزواج المبكر وذلك لمنع الأبناء مغادرة أرض أجدادهم وضمانًا للخلف و ولاستمرارية الحياة الجماعية.
- في العرف الشائع عند أولاد نائل والذي لا يزال هذا العرف قائمًا لدى بعض العروش النائلية عقد القران بين أبناء السماط الواحد (زواج الأقارب) ، ونادرًا ما يكون بين القبائل الأخرى لمصلحة أو نسب مميز.
- البحث عن عروس بعد العزم على الزواج.
- الزيارة والتعارف بين العائليتين (عائلة العروس وعائلة العروس).

- يكون التشاور والموافقة بين النسوة ثم يتدخل الرجال في المفاوضة في الأمور المادية.
- تحديد موعد الخطبة والفاتحة.
- الاتفاق على المهر وتقديمه.
- استيفاء الشروط الشرعية للزواج (القبول، الإيجاب، الشهود...).
- يوم الزفاف تنقل العروس إلى خيمة زوجها على الجمل المزين "بالباصور" التقليدي.
- يقام الحفل في جو بهيج تزينه زغاريد النسوة وطلقات البارود، فيستقبل أهل العريس أهل العروس بحفاوة وحرارة استقبال دلالة الفرح بالنسب.
- يتم إثبات الزوج بعذرية العروس، فتتعالى الزغاريد وتعم رائحة البارود طربًا.

وهكذا يتزوج أولاد نائل ويعمرون في الأرض، فهم أكبر العروش على مستوى شمال إفريقيا.

2-2- الختان (الطهارة):

لم يُذكر وجوب الختان في القرآن الكريم، وهو من الخصال التي ابتلى الله بها خليله إبراهيم روي أنه أول من أختتن، واستمر الختان بعده في الرسل و أتباعهم، والبدو الرحل يختنون أولادهم ذكورًا في السن بين الستة و اثنتي عشرة سنة، حيث تقام الأفراح وتعم الفرحة أرجاء البادية وتعلق على البيت (الخيمة) رايتان واحدة حمراء وأخرى خضراء لا شك أنهما دلالة عرس وفرح، روى الكاتب خالدي تجربته مع الختان بذكر مجموعة من الأحداث التي رسخت في ذاكرته (صفحة 45_47):

-قدوم الرجل الحامل لمحفظة جلدية حيث نعته بأبشع النعوت (سمج، مارق، رأسه حاسر..)

-أفرغ الرجل أدواته في صفيحة من الحلفاء المملوءة بالرمل الساخن.

-لبسه لقميص أبيض وشاشية وحمراء.

-حدة شفرة السكين حيث لم يحس بألم القطع.

-عمت الزغاريد والفرحة وإغماء الجدة خوفًا على حفيدها.

-الاحتفال وذبح الخروف مع إطلاق البارود الذي يكاد يصم الآذان.

-استئناس الكاتب بالذكريات بعد مرور ردح من الزمن.

2-3- التويـــــزة:

وسيلة من وسائل التكافل والتضامن المجتمع البدوي، وهي عمل تطوعي جماعي يقام لأجل قضاء حاجة فرد من القبيلة، ومن مبدأ البركة في الجماعة يتجندون كل يد واحدة، يوم صاحب العمل المُقامة عنده التويزة بإكرام ضيوفه الذين اجتمعوا لأجله فيقدم لهم القهوة والطعام، في جو من الفرح وفي وقت استراحة العمل يجدون من الرقص والغناء ملاذًا للتخفيف من التعب وكي لا يحس صاحب التويزة أنه حِمْلٌ ثقيل على أهله، فالتويزة مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي التي كانت ولا تزال حاضرة في عند أولاد نايل، يصف عبد القادر خالدي التويزة في موسم الحصاد فيقول: ((عندما يحين موعد الحصاد، يجتمعون جميعا في ذلك اليوم، ويحصدون قطعة الأرض (العزلة) التابعة لأحدهم وهذا العمل التطوعي الجماعي يسمى «التويزة»))[1]، تقام التويزة على شكلين قد تكون مالية وذلك في جمع المال لفقير، أو مريض، أو لبناء مسجد أو وقف عام (مقبرة، دار أيتام، ...)، وقد تكون أيضًا بالمشاركة في عمل لشخص ما في بناء أو حصاد...، تولد هذا العمل التطوعي من روح الدين الإسلامي الداعي الى التكافل والتضامن، فيَدُ الله مع الجماعة.

[1]- القصة، ص38 .

3- المعتقدات:

هي تفكير وتواضع جَمْعِي، يخلقه جماعة من الذين يتمتعون بالحظوة والكلمة المسموعة لدى المجتمع، فتنتقل وتتوارث عبر الأجيال، فالمعتقدات هي "كل الأمشاج الإعتقادية التي تترسب في الذهنية الشعبية، فتعتقد النفع والضّر في الأحجار المنصوبة، كما تعتقد في بعض الأشجار والحيوانات، وفي بركة الأولياء وأضرحة الأموات منهم إذا ماتوا" [1]، يحدث التفنيد للمعتقدات من خلال التطور في العلوم والمعارف، فالتي كانت بالأمس معتقدات ترد إلى الميتافيزيقا أصبح لها تجريب وتفسير علمي.

ومن المؤسف القول: إن المعتقدات والإيمان بها ضَرْبٌ من ضُروب الجهل والتخلف، والمجتمع الذي تحكمه قواعد من المعتقدات يطيعها لحدِّ الخضوع لن تأمل فيه خيرًا لنفسه ولا لأمته.

ومن بين المعتقدات التي سادت في المجتمع البدوي والتي تطرق لها الكاتب عبد القادر خالدي في قصته **حياة البدو الرحل** نجد:

3-1- زيارة الأولياء الصالحين: من أبرز المعتقدات وأكثرها شيوعًا في أوساط المجتمعات البدوية زيارة الأولياء الصالحين أو أضرحتهم؛ للتبرك بها وذلك للقناعة بأن الولي الصالح رجل خارق له معجزات، قريب من الله، ويعدوه وسيطًا بينهم وبين الله، ويجب عليهم أتباعه وإكرامه وشكره، وتتم زيارة الأولياء الصاحين في طقوس تختلف من مجتمع لآخر، يقول خالدي في

[1]- كريمة نوادرية، التراث الشعبي (المفهوم والأقسام)، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر، ع25، جوان2017، ص866

زيارة الأولياء الصالحين: ((استقر بنا المقام بالقرب من «قبة» يعيش فيها ولي صالح. كان بعض الناس يأتون من حين لآخر لزيارة ذلك المكان، لأن له في قلوبهم مكانة خاصة، بل منهم من يكتب له الشفاء بعد الالتقاء بالشيخ «المرابط»))[1].

والأولياء الصالحين يستمر الاعتقاد ببركتهم حتى بعد موتهم، يزرون أضرحتهم في طقوس وتبرك وخضوع، وقد حضرت زيارة لضريح "خالد بن سنان" التي تقام سنويًا يوم **27** من رمضان، ورصدت مجموعة من الطقوس والتي عند بحثي وجدتها تتشابه ونظيرتها عند أولاد نائل، كان من الزوار نساءً ورجالاً وأطفالاً، يحضرون الشموع والعطور والحناء وقطع قماش خضراء اللون تسمى "إيزارًا" توضع حول الضّريح، ويطوفون حول القبر المُسَيَج بسياج من حديد مفتاح بابه لدى القيم الذي يتكفل بشؤون الضريح، يرمون النقود المعقودة في محرمة بلون أحمر، ويتمتمون بِكُلَيْمَات، اقتربت منهم لسماع ما يقولون فإذا بها دعاء وتضرع، فهذه تطلب الضَنى، والأخرى زوج صالح، وآخر يطلب الرزق، فلا أرى بهم إلا ضعفًا في النفس وقلة الإيمان بالله تعالى، فالطلب والدعاء يكون لله وحده لا شريك له.

3-2- الزردة :

من الممارسات الإعتقادية الشعبية **الزردة**، وهو حفل يقام على شرف جدٌّ أول لعرش أو قبيلة، وهي من المعتقدات التي تشبث بها أولاد نائل للحفاظ على تراثهم والعودة إليه لترسيخ حب الأرض والافتخار فيما تعاقب من الأجيال، يقام هذا الحفل بمظاهر طقوسية تجسد

[1]- القصة، ص144.

الفلكلور الشعبي النائلي والعادات والتقاليد من كرم وحسن ضيافة للوفود التي تستهوي نفوسها مثل هذه المظاهر، يقول خالدي: ((فيها يذهب جميع القوم شبابًا وشيوخًا، حتى النساء، من أصغرهم إلى أكبرهن سنًّا، إلى أرض أسلافنا حيث ولد أجدادنا و «جدُّنا» الولي الصالح، «الشيخ سيدي عبد النبي» الكائن قبره في منطقة «الصدارة»))[1].

يفصل خالدي في وصف هذا الحفل في مجموعة من المراحل هي كالآتي:

- يقوم شخص من القبيلة بتنصيب مسؤولٍ عن هذا الحدث و التظاهرة لتنظيم حفل الزيارة من مهامه: إعلام الناس بموعد **الزردة** أثناء يوم السوق، يجمع المال من كل بيت ومن شيوخ القبيلة لشراء مستلزمات الحفل.
- يستدعى للحفل ضيوف مثل "القايد" و بعض الأوربيون يحظون باستقبال حار ولا غريب بين أهل الحفل غيرهم.
- تنصب الخيام تخصص بعضها للنساء المكلفات بإعداد طبق "الكسكس"، والبعض الآخر للضيوف.
- الجميع سواسية في هذه التظاهرة الأغنياء منهم والفقراء.
- يوم الزردة الموعود يرتدي الرجال أجمل الملابس وأبهى الأزياء البيضاء، أمّا النّساء فيلبسن فساتين بكلِّ الألوان مُتَحَلِيَن بحلي فضية و ذهبية.

[1]- القصة، ص94.

-من بين النشاطات التي تقام في الزردة نجد: الفلكلور الشعبي من رقص نايلي وغناء وموسيقى القصبة والبندير، وسباقات الخيل، وطلقات البارود التي لا تهدأ.

-يرتبط شرف القبيلة بحسن تنظيم الزردة.[1]

زردة "سيدي محمد بن رابح" التي تقام بعين الريش ولاية المسيلة، من بين أهم الزيارات لعروش أولاد نايل، حضرت هذه الزردة، مما جعلني أقف على صرح ثقافي متعدد المشارب والمجالات، لباس، وأكلات، وفلكلور، واللباس النايلي، وأكلة الطعام "الكسكس" المزركش بالخُضر وقِطع اللحم، والفارس النايلي، والقهوة الخضراء رمز لازم أولاد نايل، فلكلور من غناء ورقصات شعبية على أنغام القصبة والبندير، وللزردة أغاني خاصة تجمع مواضيعها على المدح والاستعطاف للولي، تغني النسوة في زردة "سيدي محمد بن رابح" مرددة:

يا جِدَّي رانا جيناك وللبعد تلاقينا

مفتاحك وين مخبيه لوكيل بعيد علينا

وأيضًا:

طليت من راس العالي نلقا لرض توطات

خير محمد بن رابح وولادك راهم جاو[2]

[1]- ينظر: القصة، ص94-102.

[2]- مقابلة مع النوية عزة، 70سنة، الساعة الثانية مساءا،2018/03/15 بعين الريش.

وتعتبر **الزردة** مناسبة لعرض الثقافة الشعبية لمن تستهويهم دراسات التراث، إلى جانب أنها تحمل أبعادًا اجتماعية وثقافية ونفسية، وهي أيضًا مناسبة لها دور ترفيهي واحتفالي، يجنح إليها النوائل لتخفيف الاحتقان و الأزمات التي يعيشها المجتمع.

4- الفنون الشعبية:

يعد من أهم وأبرز الدعائم الأساس في البناء الثقافي الشعبي، وتزخر هذه الأخيرة بمأثورات وفنون تتميز وتسمو عن غيرها وتتسم بسمة الأصالة والرسوخ والتجدد مع الحفاظ على الأصل، تمثل الفنون الشعبية العلاقة بين الفرد وبيئته وبموروثه الذي ينتقل من جيل إلى جيل يليه.

4-1- الموسيقى البدوية:

4-1-1- الأنواع الموسيقية:

تختلف الأنواع الموسيقية باختلاف المناسبات كما في حفلات الزواج، والختان، والزردة وغيرها، فتتنوع بتنوع المواضيع، وللموسيقى أدوار اجتماعية وطقوسية تنبض بروح المجتمع، وتعتبر هي الأخرى صورة لنمط حياة، يقول خالدي: ((يخاطب النّاي من يفهمون لغته ويطرب بحسب براعة الأنامل التي تغازله، وهو يغني ألحان «الياي ياي» القديمة والمعاصرة غناءً يجتاز الزمان و المكان وفيًا لأفراح وأتراح الشيوخ و الشبان))[1].

فهذا اللحن من بين الألحان الموسيقية والغنائية التي تُمَيز الفلكلور النائلي والذي هو لحن النداء و الحرية، واقترن ظهوره التاريخي مع الأزجال والموشحات.

[1]- القصة، ص104.

4-1-2- الآلات الموسيقية:

- **القصبة:** آلة موسيقية نفخية تصنع من شجرة القصب، يقول لمباركي بلحاج في **القصبة** : "قد ارتبطت بالجواد والصيد والرعي، (...) فلا تكاد تجد بدويًا من أهل المنطقة لا يحسن استعمالها ويتفنن في أنواعها (طبوعها)، تستعمل في الولائم و الأعراس والحفلات، فقد كانت ومازالت الرقم الأول فيها رغم تطور وسائل الترفيه"[1].

القصبة سيدة الأفراح البدوية ورفيقة الراعي وأنيسته، استحضرها الكاتب خالدي في العديد من مواضع قصته أثناء وصفه لأفراح البدو الرحل فيقول: ((قام أحد رجالنا، بعد أن أخذ منه المرح مأخذًا، وأخرج نايه الملازم له ليعزف به ألحانًا عذبة تستهوي أسماع الحاضرين))[2]، الناي البدوي هو القصبة التي تشبهه لكنها أغلظ و أطول منه، وتختلف عنه حتى في اللحن.

- **البندير:**

آلة موسيقية إيقاعية، يتناغم **البندير** والقصبة فتعطي اللحن البدوي والنائلي، ((كانت الفتيات الشابات قد بدأن الضرب على «البندير» وهو دفٌ مصنوع من جلد الخروف))[3]، هذه الآلة الموسيقية التي هي من اختراع وصنع البدوي شاركته أفراحه وآنسته في وحشة الصحراء.

---

[1]- لمباركي بلحاج: صور و خصائل من مجتمع أولاد نايل، منشورات السَهل، الجزائر، (د.ط)، 2009، ص45-46.

[2]- القصة، ص64.

[3]- المصدر نفسه، ص8.

4-2- الرقص البدوي النائلي:

فن من الفنون التعبيرية الجسدية، التي تستمد تعابيرها وحركاتها من ثقافة المجتمع، وبحكم عيش البدوي في الصحراء جعله يحتك بقبائل تحمل هي الأخرى عادات وتقاليد وموروث ثقافي، تأثر البدوي النائلي بهذه الثقافات ويظهر هذا التأثر في الأنماط والفنون الفلكلورية ومن بينها الرقص، يقول خالدي: ((انغمسوا في جو المرح؛ وراحوا يقلّدون المحاربين الطوارق، ويقفزون ببنادقهم))[1]؛ والطوارق هم أمازيغ الصحراء الكبرى.

ويختلف آداء الرقص بين الرجل والمرأة، ويختلف الأسلوب من لِباس أو حلي أو ما يرافق الرقصة كالبنادق التي تقتصر على الرجال، يرقص الرجال على إيقاع **السعداوي** الذي له نمطين **السعداوي لعبيدلي** ايقاعه ثقيل ويُرقص بخطوات متثاقلة مع حمل البندقية والقفز من حين لآخر في تناغم وانسجام بين جماعة الرقص، و **السعداوي في الرقيق** ذات الإيقاع الخفيف وتتسارع معه حركات الرقص.

أما الرقص عند النساء فوصفه الكاتب عبد القادر خالدي بأدق التفاصيل، ويضعنا في قلب المشهد: ((كانت الراقصات في «الطرحة» يعرضن مهاراتهن، فكانت أيديهن مصوبة نحو السماء وأصابعهن ترتجّ وأجسادهن تدور، وكنّ يقفزن وكأنّ الألحان الحادّة المضبوطة الإيقاع قد أخذت منهنّ كل مأخذ، لذلك تراهن سافرن الى عالم آخر تكاد أقدامهنّ لا تلمس الأرض))[2].

[1]- القصة، ص9.

[2]- المصدر نفسه، ص98.

وبالرغم من بساطة الموسيقى و الإيقاع اللذان يصدران من القصبة و البندير إلا أن الراقصات تؤلفن مشهدًا حركيًا و إيقاعيًا متناغمًا يرسم المعالم الثقافية ونمط الحياة البدوية النائلية.

4-3- الخيمة والآثاث التقليدي:

4-3-1- الخيمة "البيت":

هي رمز الأصالة والبداوة والعروبة، يسكنها البدوي وتلائم ظروف العيش وسهولة التنقل والارتحال، تصنع الخيمة من الصوف والشَّعر وتتقن المرأة البدوية نسجها لتتحول إلى مرتعٍ آمِن من حر الشمس و ثلوج ومطر الشتاء، وهي عبارة على قطع من القماش يسمى **الفليج** التي تخاط وتوصل مع بعضها، تستركز على دعامة أساس تسمى **الركيزة** تقام في الوسط، وتستند هي الأخرى على دعامتين ثانويتين يسميان **البيان**، وللخيمة جهتان يفصل بينهما قطعة قماش تسمى **حيال**؛ جهة للنساء وجهة للرجال، تشد الخيمة من الخارج بأوتاد موصولة بالخيمة بحبال لتمنع الخيمة من الاقتلاع، يسكن الجدّ الخيمة الكبيرة أما الصغيرة التي تسمى **العشة** فيسكنها الابن والتي تخصص له عند زواجه وتكون غير بعيدة من الخيمة الكبيرة[1].

تسمى أعلى نقطة في الخيمة **بالقنتاص** الذي كلما علا دَلَّ ذلك على علو شأن صاحبها وحذق زوجته التي نسجت الخيمة، تميزت الخيمة النائلية بغلبة اللون الأحمر على قماشه، ومنه تسمى خيمة أولاد نائل البيت الحمراء والتي تميزت عن خيم باقي القبائل.

[1]- ينظر: القصة، ص10-12.

4-3-2- الآثاث التقليدي البدوي:

التسمية	الصفحة	الوصف والغرض
الحنبل	16	غطاء متعدد الألوان مصنوع من الصوف
برّادة	20	هو الابريق الذي توضع فيه القهوة
حصائر الحلفاء	26	أفرشة مصنوعة من نبتتة الحلفاء
بساطات من جلد الخروف	27	أو ما يسمى الهيدورة بساط صغير من جلد الخروف.
قربة	28	تصنع من جلد الماعز يوضع فيها الماء.
القنونة	29	إناء من الحلفاء يوضع له القطران يستعمل لشرب الماء
الطبق	29	يصنع من الحلفاء ويوضع فيه الخبز الكسرة
السنيوة	29	صفيحة من المعدن لتقديم القهوة
الغربال	31	آداة للفصل أو العزل تستعمل في السميد أو الكسكس
الشكوة	32	تصنع من جلد الخروف تستعمل لاستخلاص اللّبن و الزبدة.
الطاجين والمناصب	32	الطاجين صفيحة من الفخار تنصب على ثلاث أحجار تسمى المناصب لطهي الخبز(الكسرة).

الكسكاس	33	طبق من الحلفاء في أسفله ثقوب صغيرة يستعمل لطهي حبيبات الكسكس
المهراس	33	مخروطي الشكل فارغ من الداخل يصنع من الخشب يستعمل للسحق والطحن.
القرابر	58	تنسج من وبر الماعز وصوف الغنم تستعمل كأكياس.
القرداش والخلالة	86	القرداش آلة تستعمل لتمشيط الصوف، والخلالة آلة حديدية لدق الصوف أثناء النسج
المطحنة	87	تتكون من حجرتين ثقيلتين مستديرتين في العليا ثقب لوضع الحبوب تدور بمقبض خشبي لرحي الحبوب.
الطنجرة	87	إناء من الفخار يستعمل لطهي المرق.
قصعة	96	وعاء كبير من الخشب يستعمل لتقديم الطعام.

التعليق على الجدول:

الخيمة وأثاثها وكلّ ما تستعمله المرأة النائلية في بيتها هو من صنع أناملها، طَوَعت الطبيعة وجعلت منها الخادم والمساعد لطبخ طعامها وحِفظ أكلها فنجد جُلَّ الأثاث الذي تحويه

الخيمة مصنوع من نبات الحلفاء، وجلود الماعز والخرفان، ومن صلصال التراب تصنع آنية لطهي أشهى الأطباق وألذها.

4-4- الطبخ الشعبي:

الاحتفاء بالطعام ومشاركته في جو من الضيافة و الكرم من خصائل وشيم البدوي، ولهذا الأخير أكلات وطبخ يتميز كونه من خيرات الطبيعة العذراء فهو يأكل ما يزرع وما يربي من ماشية، وتسهر المرأة النايلية على تحضير الأكلات الشعبية، والتي من بينها الكسكس الذي أصبح اليوم طبق عالمي، ويذكر عبد القادر خالدي من الأكلات

المردود:((هناك أيضًا طبق آخر يسمى «المردود»، وهو عبارة عن كريات من سميد القمح أكبر حجمًا من حبات الكسكس تطبخ بالبخار ثم تصبُّ في قدر من الماء المغلي «الطنجرة» ويضاف اليها قطع صغيرة من اللحم والفلفل الأسود والمشمش المجفف «الهرماس»))[1]، طبق المردود هو طبق الشتاء فتناوله يُدِبُّ الدفئ في الجسم.

خبز المطلوع: ((بإمكان الزوار القدوم الينا فتفرش لهم الزرابي وتكون لهم حظوة في كوب من اللبن برغيف «خبز المطلوع»))[2]، المطلوع نوع من أنواع الخبز الذي يحضر بالفرينة و وخميرة الخبز مع إضافة الحليب والسكر، تجيد المرأة النايلية تحضيره ويقدم مع اللبن البارد أو الزبدة الطازجة.

[1]- القصة، ص33.

[2]- المصدر نفسه، ص19.

بوصّلوع: ((ثم تأتيهم رغبة العودة بعد أيام للاستمتاع بطبق الربيع المشهور باسم «بوصلّوع»، المحضّر بالقمح المطحون المحمّص والممزوج بالتمر المسحوق و زبدّة النعجة))[1]، يسمى البوصلوع أيضًا بـــالرفيس، ويعد طبق المناسبات.

الكسكس (الطّعام): ((ولتحضير وجبة كسكس تقليدي (الطعام)، توضع كريات سميد القمح الرقيقة التي تم تحضيرها مسبقًا في طبق من الحلفاء (الكسكاس) في أسفله ثقوب صغيرة، يُرَكَّبُ الكسكاس فوق قدر مليئة بالماء موضوعة على الكانون ومسخنّة جيّدًا، وكنتيجة لذلك، تنضج الكريات الرقيقة بحرارة البخار ثم يتم إفراغها في صحن لتبريدها وإضافة بعض الزبدة إليها، وهكذا يصبح طبق الكسكس، أشهر أطباقنا، جاهزًا وتزيّن حوافه بلحم الخروف بنكهة حساء الخضر أو العسل))[2]، الكسكس طبق تقليدي عريق ،حيث تسعى دول المغرب العربي لتنصيبه ضمن قائمة التراث الثقافي لطلب الى منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم اليونيسكو UNESCO.

الروينة: ((ثم توجه الى أحد الجمال وفتح كيسًا كبيراً ثم أخرج منه كيسًا صغيرًا من دقيق «الروينة»! والروينة نوع من الدقيق يصنع من حبات القمح المحمصة و المطحونة))[3]، تخلط الروينة بالحليب أوحتى الماء، ويحملها البدوي معه في سفره وأثناء رعيه لسهولة تحضيرها.

[1]- القصة، ص19.

[2]- المصدر نفسه، ص33-34.

[3]- المصدر نفسه، ص73.

4-5- اللباس البدوي:

هو من بين أهم القرائن الدالة على الموروث و الثقافة الجمعية للمجتمع، وبالرغم من التحديثات التي جرت عليه ظلّ محافظًا على شكله وملامحه، عرض الكاتب خالدي حياة البدو الرحل واسترسل في وصف العادات والتقاليد وكذا الفنون التي تميّز بها البدوي؛ والتي من بينها اللباس.

4-5-1- اللباس النسائي:

- **الفستان النايلي:** ((كان الرجال يرتدون أجمل الملابس وأبهى الأزياء البيضاء، التي تلمع وتنصع تحت ضوء الشمس. أمّا النساء فلبسن فساتين بكل الألوان ووضعن خُمْرًا بيضاء خفيفة (الزمالة) ويتزّينّ بالحلي الذهبي و الفضي))[1]، الفستان أو الروبة العربي، الأصل في لونه اللون الأبيض إلا أنّ التصاميم والتحديثات أضافت الألوان وكذا تفصيلات جديدة، وهو لِباس ساتر، طويل، فضفاض، وغير شفاف، وتختلف الفساتين وتفصيلاتها وألوانها باختلاف مناسبات ارتدائها.

- **الزمالة:** عبارة على قطعة قماش بيضاء اللون ذات حاشية سوداء، وشكل مربع، من قماش "الفولار" ترتديه المرأة من أعلى رأسها الى قدميها، وتثبت على الرأس بما يسمى "العبروق".

[1]- القصة، ص98.

– **الحايك النايلي:** ((كما أتت بعض النسوة مستورات متلحفات ب «الحايك النايلي » (بوعوينة) الأصيل الأبيض الذي يغطي الجسد من أعلى الرأس الى أخمص القدم فلا يظهر منه سوى «عينٌ واحدة» تبصر بها المرأة ما حولها))[1]، الحايك رمز الاحتشام والسترة و الأصالة، ولونه الأبيض يزيد المرأة وقارًا وأنوثة، و لم يقتصر الحايك على المرأة البدوية فهو لباس وطني وصل صيته العالمية.

4-5-2- اللباس الرجالي:

– **البرنوس:** ((وأما إن أتيت البدوي مسالمًا فقد يعطيك برنوسه ولا يبالي))[2]، والبرنوس رمز من رموز العروبة و الأصالة والهمة لدى البدو، وله نوعان البرنوس البني؛ ينسج بوبر الإبل، أما البرنوس الأبيض فينسج بالصوف وهو برنوس المناسبات، دخل البرنوس البدوي العالمية حيث يعتبر لباس ملكي لبسه مجموعة من الأسماء و الشخصيات السياسية والفنية العالمية.

– **القندورة:** ((ونجدهم يلبسون على الطريقة البدوية (**قندورة**، سروال عربي، عمامة فوق الرأس) ويحبون اللون الأبيض))[3]، وتصنع من القماش الخالص أو الصوف، تغطي كامل الجسم، فضفاضة ذات كمين ليسا طويلين وتلازم القندورة الرجل النائلي[4].

[1]– القصة، ص99.

[2]– المصدر نفسه، ص21.

[3]– المصدر نفسه، ص35.

[4]– ينظر: لمباركي بلحاج: صور وخصائل من مجتمع أولاد نائل، ص52.

– **السروال العربي**: سروال عربي (مدوّر) ، أو بالحجر ، هو سروال عريض يضيق عند كعب القدمين[1].

العمامة: و هي تاج العربي، وقد بقيت كذلك عند سكان المنطقة فلا تكاد ترى كهلاً أو شيخاً إلا ويرتدي اللحفاية (العمامة)[2]، ويرى البدوي أنه من العيب تعرية رأسه فهو دليل على الهم والفقر والذل فيقولون: فلانًا عَرَّ رأس عائلته بمعنى ألحق العار بهم.

الطعبي: ((كما أنّ البدو يرتدون أحذية جلديّة صاعدة مع الساقين (الطعبي)، تحميهم من الحصى الحادّة، والأشواك ولسعات الزواحف))[3]، يصنع الطعبي من الجلد وهو حذاء البدو الذي يساعدهم في المشي لمسافات طويلة لخفة وزنه و يقيهم حرارة الرمال وحِدَّةِ الحصى ولسعات القرب.

يتحرى البدوي في اختيار لباسه وتفصيلاتها ظروف العيش و البيئة، فيلبس ما يسهل عليه ممارسة أعماله وما تحكمه العادات والتقاليد والدين والمعتقد، فلا يلبس ضيّقًا ولا ذا ألوان فاقعة، فيلبس فضفاضًا أبيضًا.

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص51.
[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص52.
[3]– القصة، ص37.

4-6- الألعاب الشعبية:

هي من الفنون التي ابتدعها الإنسان البدوي للترفيه، ذكر منها الكاتب في قصته في سياقات عِدَّة، ومن هذه الألعاب:

- **لعبة التّلومة:** ((كان الفصل صيفًا، وكان البدر قد جعل من الليل الطويل نهارًا، فكيف يا ترى يمضي المرء وقته؟ لم يكن أمامنا سوى الاستمتاع بلعبة «التلومة» التقليدية التي تعتمد في البداية على صناعة كرة محشوة بقطع الكتان المربوطة فيما بينها لتعطي شكلاً كرويًا يسمى «التلومة»))[1]، هذه اللعبة شبيهة وكرة القدم، بحيث يتقابل فريقين من القبيلة والخِيِّم المجاورة على كرة مصنوعة من القشِّ مُحْكَمَةَ الرّبْطِ، يحاول كل من الفريقين ضرب الكرة بالعصا لإدخالها في جهة الفريق الخصم في جو تنافسي.

- **السيق:** ((وفي تلك النشوة اختلط رعاتنا بالناس و أروهم طريقة لعب «السيق»، لعبتنا المفضلة، وهي عبارة عن أعواد صغيرة مسطحة من القصب (نبات البوص) سوداء من جهة وبيضاء من الجهة الأخرى، ترمى في الهواء وعندما تسقط على الأرض تحسب الأوجه السوداء؛))[2]، تصنع أيضًا من جريد النخيل، عدد لعبيها اثنين أو أربع، ويحسب الفوز بعدد الأسياق؛ عندما يرمى السيق في الهواء وتكون ستة سوداء أو ستة بيضاء يسمى سيق.

[1]- القصة، ص78.

[2]- القصة، ص64.

الخاتمة

لقد أفضت دراستي التي حاولت من خلالها تسليط الضوء على ظاهرة برزت في الأدب والنقد الحديث والتي هي توظيف التراث في الأدب وكان لي جملة من النتائج أذكرها كالآتي:

- تباينت واختلفت وجهات النظر حول تحديد مفهوم التراث، فكانت كلها تصب في معنى ما يخلفه السلف للخلف من فكر و أدب وثقافة.
- يستقي الكاتب تراثه من مجموعة مصادر والتي كونت تجربته الأدبية التي ينظم من خلالها، ومن بين هذه المصادر نجد التاريخية و الدينية والشعبية.
- يتداخل التناص ومفهوم توظيف التراث، فكل يستدعي نصًا غائبًا، وكان الخلفية الدينية للكاتب حضور في تناصاته، فاستحضر ووظف آيات القرآن و الأحاديث النبوية الشريفة.
- من تداخل الخطابات وفكرة اللغة وعاء ثقافة المجتمع والراسم لمعالم هويته، كان حضور اللغة التراثية البدوية في متن قصة حياة البدو الرحل تعبيرًا وشكلًا من توظيف التراث، فحدث التهجين بين اللهجة البدوية و اللغة الفصحى.
- عاد الكاتب خالدي إلى التاريخ وغرف منه شخصيات وظفها في ما يقتضيه السياق وحملت كلها دلالات الموضوع.
- وظف الكاتب الرمز كونه ظاهرة جمالية تستدعي التأويل، وكتقنية سمحت له ببث أفكاره في شرنقة من الغموض، حملت الرموز الموظفة في قصة حياة البدو الرحل شفرات البيئة المحلية البدوية، وكان للرمز الطبيعي قرائن تقترن و التراث الشعبي و المحلي.

- توظيف المثل الشعبي في القصة عزز دعم أفكار الكاتب وساعده في تلخيصها بنوع من التلميح والحوار بينه وبين المتلقي بانفتاح أفق التوقع.
- العادات والتقاليد مفتاح لولوج معالم المجتمع، وكان حضور عادات وتقاليد المجتمع البدوي جسرًا يحملنا إلى تراث شعبي ومكون ثقافي قومي.
- تعبر المعتقدات على التفكير وذهنيات المجتمع، والمعتقد في المجتمع النائلي الذي حاول الكاتب إظهاره في قصته يتيح لنا قراءة المجتمع قراءة سوسيولوجية.
- الفنون الشعبية تعبير نابع من عمق الوجدان وتصوير لأحاسيسه في مختلف ظروفه ومستوحى من البيئة ونمط الحياة، وله القدرة الواسعة للتصوير ورسم الواقع، ومن خلال هذا أفضت دراسة الفنون الشعبية داخل قصة حياة البدو الرحل للكشف عن مضامين ومعاني تجسدت في المجتمع البدوي وهذا الدور الذي لعبته هذه الفنون باعتبارها وسيلة تعبيرية تواصلية.

ملحـــق

ملخص القصة:

يحكي قصّة عائلة بدوية من قبيلة أولاد نائل عاشت في بداية القرن العشرين. في ذالك الوقت، كان الرجال يكافحون قساوة الطبيعة للحفاظ على حياة أسرهم و بهائمهم ومزارعهم. وكانت البلاد تمر حينها بفترة عصيبة (الحرب العالمية والاستعمار وبروز حركة التحرير الوطني). كما إنها فترة شهدت الجفاف والجوع. لذالك كان الرجال مدفوعين سنة 1946 إلى الهجرة إلى فرنسا...

المؤلف في سطور

ولد عبد القادر خالدي 15 ماي 1938 بحاسي بحبح بولاية الجلفة (الجزائر) في خيمة أولاد نايل البدوية في الوسط الجزائري ، عندما بلغ سن العاشرة هاجر مع والديه إلى فرنسا وعاش في منطقة مونتاتار (مقاطعة واز).

بعد خمس سنوات من الدراسة الابتدائية حاز على الرتبة الأولى في اللغة الفرنسية ونال شهادة الدراسات الابتدائية في سنة 1945، بعدها زاول دراسات تقنية بكرايل إلى غاية 1958 ثم عمل كهربائيا في قطاع الحديد والصلب بفرنسا (ساكسبيقالفانور) أثناء الثورة التحريرية ناضل من أجل الاستقلال الجزائر.وفي سنة 1964 عاد إلى الجزائر وعمل إطارا تقنيا وهو ما مكّنه من إنجاز مهمّات وإجراء تربصات في فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وألمانيا وسويسرا والإتحاد السوفييتي ،وفي سنة 1998 أخذ تقاعدًا مسبقًا وأصبح مراسلا صحفيا ورائدًا من رواد شبكة الإنترنت كما أنه يشغل وظيفة رئيس جمعية مختصة في السياحة وحماية البيئة، علاوة على ما سبق ، كتب المؤلف هذا الكتاب حول حياة البدو الرحّل لقبائل أولاد نايل وهو الآن يحضر لنشر كتاب آخر حول الهجرة.*

*قصة حياة البدو الرحل.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم (برواية حفص).**

أولا: المصادر:

1- عبد القادر خالدي، حياة البدو الرحل (قصّة عائلة نايلية)، تـــ/ بخوش صالح، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2015.

ثانيًا: المراجع:

أ- العربية:

2- عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر،(د.ط)، 2007 .

3- جويّدة حماش، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، الجزائر، (د.ط)، 2007.

4- راسم محمد عبد الكريم، الاستحسان في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1، 2012.

5- عبد الرحمان المصطاوي، شرح المعلقات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2،2004.

6- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2،2001.

7- سيد علي إسماعيل، أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2017.

8- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1997.

9- علي عشري زايد، توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1998.

10- فاروق أحمد مصطفى و مرفت العشماوي ،دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008 .

11- لمباركي بلحاج، صور و خصائل من مجتمع أولاد نايل، منشورات السَهل، الجزائر، (د.ط)، 2009.

12- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2002، ص10-11.

13- محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة:دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،ط3، 2000.

14- محمد فراح، الخطاب المسرحي و إشكالية التلقي، نماذج وتصورات في قراءة الخطاب المسرحي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

15- محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، 1998.

16- محمد صفوت، الأمثال الشعبية، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1998.

17- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1983.

18- مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي (الإشكالية والأصول والامتداد)، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2005.

19- نبيل حلمي شاكر، أمثالنا الشعبية ، خطوات للنشر و التوزيع،دمشق، سوريا، ط1، 2004

ب: المترجمة:

20- تزفيتان تودوروف، المبدأ الحواري، تر/صالح فخري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1997.

21- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي ، تر/ محمد برادة ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،1987.

ثالثًا: المعاجم و الموسوعات:

22- إبراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

23- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة ورث، مج2، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1994.

رابعًا: الرسائل الجامعية:

24- أحمد زاوي، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بإشراف عبد الحليم بن عيسى تخصص لغة عربية ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة وهران، 2014،2015.

25- عبد الله بن صفية، الاستشراف في الرواية العربية (مقاربة سردية في نماذج نصية)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث ، باشراف إسماعيل زردومي، تخصص سرديات، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

خامسًا: الدوريات بالعربية

26- بحوث المؤتمر العلمي الأول حول الإمام عبد القاهر الجرجاني وجهوده في إثراء علوم العربية، كلية اللغة العربية، أسيوط، مصر، 4-6 أغسطس 2014.

27- مجلة الأثر، جامعة برج بوعريريج، الجزائر، ع2، مارس 2016.

28- مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر، ع25، جوان2017.

سادسًا: المقابلات

مقابلة مع النوية عزة، 70سنة، الساعة الثانية مساءً،2018/03/15 بعين الريش.

7-المواقع الالكترونية

- https ://www.kabbos.com/index.php?darck=509. /26/05/2019 .03 :44pm

فهرس المحتويات

العنوان.....الصفحة

مقدمة

مدخل: التراث: مفهومه، مصادره، بواعث توظيفه في السرد العربي

1- مفهوم التراث..... 10

1-1- الحد اللغوي.....10-11

1-2- الحد الاصطلاحي..... 12-13

2- مصادر التراث.....14

2-1- المصدر الديني.....14

2-2- المصدر التاريخي.....15

2-3- المصدر الشعبي.....16

3- بواعث توظيف التراث في السرد العربي.....17

3-1 البواعث الواقعية.....17

3-2- البواعث الفنية.....17

3-3- الحركة الثقافية.....18

الفصل الأول: التناص ودلالة الشخصيات و الرموز في قصة حياة البدو الرحل

1- التناص واستحضار النص التراثي الغائب.....20

1-1- مفهوم التناص.....20

1-2- التناص قرآني.....22 -24

1-3- التناص مع الحديث النبوي الشريف.....25

1-4- حوارية اللغة (التهجين).....26-27

2- دلالة الشخصيات في قصة حياة البدو الرحل..... 28

2-1- الشخصية وبناء الدلالة التراثية..... 29-30

2-1-1- صوت الرجل..... 30-31

2-1-2- صوت المرأة..... 31-32

2-2- استحضار الشخصيات التاريخية..... 33

2-2-1- عقبة بن نافع الفهري..... 33-34

2-2-2- شخصية حيزية..... 34

2-2-3- شخصية أتيلا الهوني..... 35

2-2-4- الأمير عبد القادر..... 35-36

3- دلالة الرموز في قصة حياة البدو الرحل..... 37

3-1- رمزية القهوة..... 37

3-2- رمزية الأرض..... 38

3-3- رمزية اللون الأبيض اللون 38-39

الفصل الثاني: توظيف التراث في قصة حياة البدو الرحل

1- المثل الشعبي..... ص41-45

2- العادات و التقاليد..... ص46

2-1- الزواج..... ص47-48

2-2- الختان (الطهارة)..... ص49

3-3- التويـــــزة..... 50

3- المعتقدات.....51

3-1- زيارة الأولياء الصالحين.....52-51

3-1- الزردة 55-52

4- الفنون الشعبية.....56

4-1- الموسيقى البدوية.....56

4-1-1- الأنواع الموسيقية.....56

4-1-2- الآلات الموسيقية.....57

4-2- الرقص البدوي النائلي.....59-58

4-3- الخيمة والآثاث التقليدي.....59

4-3-1- الخيمة "البيت".....59

4-3-2- الآثاث التقليدي البدوي.....61-60

4-4- الطبخ الشعبي.....63-62

4-5- اللباس البدوي.....65-64

4-5-1- اللباس النسائي.....65-64

4-5-2- اللباس الرجالي.....66-65

4-6- الألعاب الشعبية.....67

خاتمة.....70-69

ملحق.....70

المصادر و المراجع.....78_74

فهرس المحتويات.....84-81

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إضاءة حول ظاهرة التراث واشتغاله في قصة حياة البدو الرحل باعتبار التراث منهلاً يغرف منه المبدعين مادتهم الأولية في بناء تجربتهم الأدبية ، وقد كان التراث محط اهتمام النقاد والكتاب لسبر أغوار الماضي وإنارة الحاضر واستشراف المستقبل ، فجاء عنوان البحث موسومـــــــاً بـــ: التراث في قصة حياة البدو الرحل عليه كان للبحث مدخلا تضمن مفهوم التراث وأهم مصادره وبواعث توظيفه ، وفصلين تطبيقين تناول الفصل التناص ودلالة الشخصيات والرموز في القصة محل الدراسة،أما الفصل الثاني فتعلق بدراسة أهم الأشكال التراثية الشعبية الموظفة في قصة حياة البدو الرحل.

RESUME

Le But de cette recherche c’ est de éclairer le patrimoine et son rôle dans la vie des nomades, à la base que le patrimoine est la source des génies de construire leur expérience littéraire, le patrimoine était très important pur les écrivain et les critiqueurs pour reviure le passe, éclairer le présent et entrevoir l’avenir, c’est pour ça le titre de la recherche est le patrimoine dans l’histoire de la vie des nomades , ce recherche se compose d’un introduction qui contient la signification du mot « patrimoine »et ses source les plus importantes, et deux chapitres, le premier parle de l’intertextualité dans le récit, la deusieme étudie les manières patrimoniales populaires utilisées dans l’histoire de la vie des nomades de Abd el kader khaldi.